حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السابع . شوال ١٤٣٨هـ / تموز ٢٠١٧م

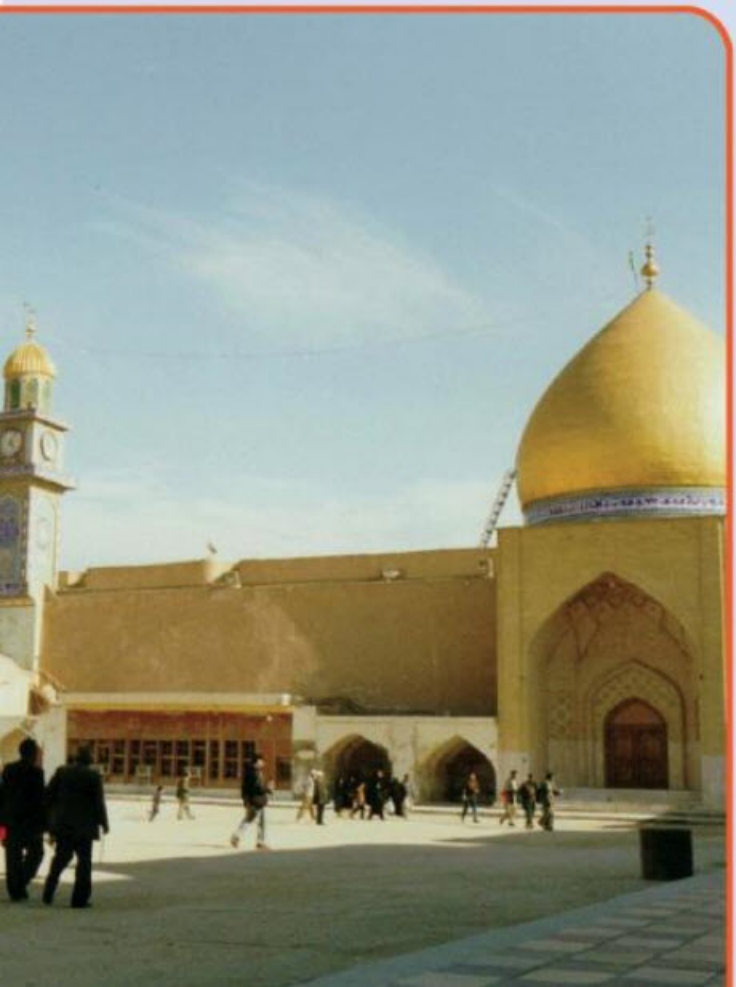

٧

دار الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

ابْنُ زُرَيْقٍ الكَاتِبُ

الدكتور سامر محمّد ديب معروف
جامعة دمشق- كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ترجمة ابن زريق

يعدُّ ابن زريق الكاتب من الشّعراء المشهورين والمغمورين في الوقت نفسه، فقد اهتمت المصادر والمراجع بقصيدته العينيّة الّتي تعدُّ من عيون الشّعر العربي، وأغفلت ترجمته، فلم يصل إلينا من أخباره إلا القليل النّادر، وعند البحث والتقصّي في المصادر والمراجع وجدت أنَّ هناك شاعرين اشْتُهِرَا بالكنية نفسها، وباللّقب نفسه أيضاً «ابن زريق الكاتب»[1] وافترقوا في النّسبة، فقد نُسِبَ الأوّل تارةً إلى بغداد[2]، وتارةً ثانيةً إلى الشّام[3]، على حين نُسِب الثّاني إلى الكوفة[4]، وقد أغفلت بعض المصادر نسبة الشّاعر، واكتفت بذكر كنيته[5]، أمّا الاسم الأوّل فقد اُخْتُلف فيه أيضاً، فقد ذهب

(١) لابدّ من الإشارة في هذا الموطن إلى وجود شاعر آخر عُرِفَ بابن زريق، وهو أحمد بن علي بن عبد اللّطيف، من أهل معرّة النّعمان، سمع من أبي العلاء المعري توفي بعد سنة ٤٩٠هـ ذكره الأصفهاني في خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء بلاد الشّام، تحقيق: د. شكري فيصل، قسم شعراء الشّام، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م/٥١، و له ذكر عارض في بغية الطّلب في تاريخ حلب، لكمال الدّين عمر بن أحمد أبي جرادة، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، ٤٢٩٠/٩، وفي تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر ت: ٥٧١هـ تحقيق: محبّ الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م، ٤٧٨/٥٦.

(٢) ورد ذكر ابن زريق البغدادي في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، لابن خلّكان «ت: ٦٨١هـ»، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت- لبنان، ط٤، ٢٠٠٥م، ٣٣٨/٥، وفي المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لابن الدمياطي «ت: ٧٤٩هـ»، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٨٩/١٨، وفي الوافي بالوفيات ٧٦/٢١، وفي طبقات الشّافعية الكبرى، لتاج الدّين السُّبكي «ت: ٧٧١هـ»، تحقيق: د. محمود محمّد الطّناحي، د. عبد الفتاح محمّد الحلو، هجر للطّباعة والنّشر -مصر- القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٣٠٨/١، وفي الكشكول، لبهاء الدّين محمّد العاملي «ت: ١٠٣١هـ»، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط٧، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١٥٦/٢.

(٣) قال ابن ماكولا في أثناء حديثه عن نسبة الزريقيّ: «هو شاعر شامي يعرف بالزريقيّ، مشهورٌ بأبيات...» ثمّ يذكر بيتين من عينية ابن زريق، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، لابن ماكولا ت: ٤٢٢هـ دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١١هـ ٤/ ١٥٢، وتبعه في ذلك الجزري في اللّباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن الشّيباني الجزري ت: ٦٣٠هـ دار صادر بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ٦٦/٢، والسّمعاني ت: ٥٧٢هـ في الأنساب ١٥٠/٣.

(٤) ورد ذكر ابن زريق الكوفي في يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثّعالبي ت: ٤٢٩هـ تحقيق: د. مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ٤٤٢/٢، وفي ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثّعالبي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م ص٤١٤، وفي رسائل الثّعالبي، أو نثر النّظم وحل العقد، لأبي منصور الثّعالبي، تحقيق، علي الخاقاني، مكتبة دار البيان- بغداد، دار صعب- بيروت، ص١١٨، وفي لطائف المعارف، لأبي منصور الثّعالبي ت: ٤٢٩هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري- حسن كامل الصّيرفي، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص١٧١، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ٤٦١/١، وفي نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدّين النّويري، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ٣٣٤/١- ٢٧١/٢، وفي الوافي بالوفيات ١٢٦/٥، وفي معاهد التّنصيص على شواهد التّلخيص، لعبد الرّحيم العباسي ت: ٩٦٣هـ تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت- لبنان ١٣٦٧هـ- ١٩٤٧م، ٢٣/٣.

(٥) مثل: نشوار المحاضرة وأخباره المذاكرة، للقاضي التّنوخي، ت: ٣٨٤هـ تحقيق: عبود الشالجي، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ٣٩١/١، وزهر الآداب وثمر الألباب، للحصري القيرواني ت: ٤٥٣هـ تحقيق: د. صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٢٠٣/٣، وتكملة تاريخ الطّبري «الجزء الحادي عشر من تاريخ الطّبري» لمحمّد بن عبدا لملك الهمداني ت: ٥٢١هـ تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان،

...

الدمياطي، والصَّفدي إلى أنَّ اسمه «عليٌّ بنُ زريق الكاتب البغدادي»[١]، وزاد الصَّفدي في الغيث المسجَّم، والسّبكي في طبقاته فقالا: هو «أبو الحسن، علي بن زريق»[٢] أمّا ابن خلّكان فقد ذكر ابن زريق في موطنين في وفياته، ذهب في الموطن الأوّل إلى أنَّ اسمه «محمّد بن زريق الكاتب البغدادي»[٣]، وإلى مثل ذلك ذهب ابن معصوم[٤]، وفي الموطن الثّاني ذكر أنَّ اسمه «أسد بن زريق الكاتب»[٥].

وأمّا الثّعالبيُّ، والهمدانيُّ، والنّويريُّ، والعباسيُّ فقد أغفلوا الاسم الأوّل، واكتفوا بذكر الكنية «أبو محمّد بن زريق الكوفي الكاتب»[٦].

ومن هنا فإنّي أرجّح وبقوّة أن يكون ابن زريق البغدادي هو نفسه ابن زريق الكوفي، وذلك استناداً على مايلي:

أولاً- إنَّ النّسبة إلى بغداد لا تقتضي بالضَّرورة النّسبة إلى مسقط رأس ابن زريق، بل تشير في أغلب الأحيان إلى ارتباطه ببغداد قبل دخوله الأندلس، كما هو حال صاعد البغدادي، وأبي علي القالي[٧]، وآخرين ممّن وفدوا على الأندلس، فقد نسب صاعد إلى بغداد وهو على الأغلب من الموصل[٨]، ونُسِبَ القالي -في الأندلس- إلى بغداد مع العلم أنّه من منازجرد[٩].

وممّا يوكّد ذلك أيضاً أنّ السّراج القاري «ت ٥٠٠هـ» وتبعه السُّبكي «ت: ٧٧١هـ» عندما ذكرا خبر قصيدته العينيّة، لم يسميا ابن زريق صراحةً، بل قالا: «رجلاً من أهل بغداد»، وذلك اعتماداً على الرُّقعة الّتي وُجِدَتْ عند رأس الرّجل بعد موته المكتوبِ عليها: «منزلي ببغداد في الموضع المعروف بكذا»[١٠].

وهذه العبارة لا تشير ضرورةً إلى نسبته أو مسقط رأسه، إذ قد يكون سكن بغداد، وهو ليس منها، ومن هنا أستطيع القول: إنّ قصيدته العينيّة هي الّتي نسبته إلى بغداد، فكلُّ المصادر الّتي نسبته إلى بغداد ذكرت له هذه القصيدة أو بعض أبياتها.

ثانياً- أخبار الرّجلين تكاد تكون معدومة، فلم يشر أحد ممّن ذكر الشّاعرين، أو روى شيئاً من شعرهما، إلى أخبارهما، ولا حتّى إلى تاريخي ميلادهما أو وفاتهما.

ثالثاً- تشير الأخبار أنّ الرّجلين عاشا في الفقر نفسها، فممّن روى عن ابن زريق البغدادي الأمير أبو الهيجاء محمّد بن عمران بن

بيروت- لبنان، ص٤٢٦، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للزمخشري ت: ٥٣٨هـ تحقيق: د. سليم النّعيمي، دار الذّخائر للمطبوعات، قم- إيران ط١، ١٣١٠هـ ص٣١٠، وفي التّذكرة الحمدونية، لابن حمدون ت: ٥٦٢هـ تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦، ١٤٤/٨، وفي تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حَجَر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ تحقيق: محمّد علي النّجار -مراجعة علي محمّد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، ٦٥٨/٢، وفي توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرّواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدّين الدّمشقي ت: ٨٤٢هـ تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ٢٩٣/٤، وفي كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرّومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ١٣٢٩/٢، وقال الزّبيدي: «الزريقشي: شاعرٌ معروفٌ، وله قصيدة عينيّةٌ يقال لها قصيدة ابن زريق...» تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٣٩٨/٢٥.

(١) المستفاد من ذيل بغداد ١٨٩/١٨، الوافي بالوفيات ٧٦/٢١، كشف الظّنون ١٣٢٩/٢.

(٢) الغيث المسجم في شرح لامية العجم، خليل بن أيبك الصّفدي ت: ٧٦٤هـ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ١٧١/١، طبقات الشّافعية الكبرى ٣٠٨/١، وتبعهما في ذلك حاجي خليفة في كشف الظّنون ١٣٢٩/٢، وكارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٦٦/٢، ومثل ذلك ورد الاسم في «عينية ابن زريق البغدادي» مخطوطة رقم «١٨٣٠- ٤» مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرّقمية.

وقال الدكتور فؤاد سزكين: «هو أبو الحسن علي «أو عبد الله» بن زريق الكاتب البغدادي»، في تاريخ التّراث العربي، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، وزارة التّعليم العالي، المملكة العربية السّعودية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، مج٢، ج٥، ص٧٩.

(٣) وفيات الأعيان ٣٣٨/٥.

(٤) أنوار الرّبيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني ت: ١١٢٠هـ تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النّعمان- النّجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ١٧٨/٤.

(٥) وفيات الأعيان ٤٦/٤، ينظر: القطعة رقم «١/٢».

(٦) يتيمة الدّهر ٤٤٢/٢، تكملة تاريخ الطّبري ٤٢٦ بيد أنّ الهمداني لم يشر إلى اللّقب «الكاتب»، نهاية الأرب ٣٣٤/١، معاهد التّنصيص ٢٣/٣.

(٧) هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون، وُلدَ سنة ٢٨٠هـ بمنازكرد من ديار بكر، ودخل بغداد سنة ٣٠٣هـ وأقام بها إلى سنة ٣٢٨هـ ثمّ انتقل إلى الأندلس، وبقي فيها إلى أن توفّي سنة ٣٥٦هـ ولَمَّا سُئل لم قيل له القالي؟ قال: لما انحدرنا من بغداد كنّا في رفقة فيها أهل قالي قلاَ، وهي قريةٌ من قرى منازكرد، فلمّا دخلت بغداد نُسبت إليهم لكوني كنت معهم، معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت الحموي ت: ٦٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ٣٠٢/٢ وما بعدها، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، لجلال الدّين السّيوطي ت: ٩١١، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ٤٥٣/١، وفيات الأعيان ٢٢٦/١، الوافي بالوفيات/١١٤- ١١٥، نفح الطّيب ٣٤٠/٣ وما بعدها.

(٨) ينظر: ص... من هذا البحث.

(٩) قال ياقوت: وأهله يقولون «منازكرد» بالكاف، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الرّوم، يعد في أرمينية، وأهله أرمن وروم، وإليه ينسب الوزير أبو نصر المنازي، معجم البلدان ٢٠٢/٥.

(١٠) نقل السّراج القاري الخبر عن البزاز التّكريتي، ورواه السّبكي عن السّمعاني، مصارع العشاق، أبو محمّد جعفر بن أحمد بن الحسين السّراج القارئ ت: ٥٠٠هـ دار صادر بيروت- لبنان، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م، ٢٣/١، وطبقات الشّافعية الكبرى ٣١١/١.

شاهين[١] الّذي سار إلى البَطِيحة[٢] سنة ٤١٢هـ بعد أن كاتبه بعض أهلها ليسلِّموا الأمر إليه، فلمّا علم صاحب البطيحة بذلك سيّر له جيشاً قاتله، فانهزم أبو الهيجاء، وأُخذَ أسيراً[٣]، وممّن روي عن ابن زريق الكوفي أبو سليمان المنطقي[٤] «المتوفّى في حدود ٤١٠هـ»[٥]، وأبو منصور الثّعالبي «المتوفّى سنة ٤٢٩هـ»[٦].

رابعاً- يتجلّى في شعر الرّجلين غرض الحنين إلى بغداد، والشّوق إلى أهلها، ممّا يشير إلى شدّة ارتباطهما بها، وبُعْدهمَا عنها، أمّا ابن زريق البغدادي فقد امتزجَ الحنين عنده بالشّوق واللّوعة، فقد قال[٧]:

أسْتَوْدِعُ اللهَ فِيْ بَغْدَادَ لِيْ قَمَراً
بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الأزْرَارِ مَطْلَعُهُ

وأمّا ابن زريق الكوفي فقد رأى أنّ بغداد بزّت الدّنيا بأكملها، فقال[٨]:

سَافَرْتُ أبْغِي لِبَغْدَادَ وَسَاكِنِهَا
مِثْلاً فَحَاوَلْتُ شَيْئاً دُوْنَهُ اليَاسُ
هَيْهَاتَ! بَغْدَادُ الدُّنْيَا بِأجْمَعِهَا
عِنْدِي، وَسُكَّانُ بَغْدَادٍ هُمُ النَّاسُ

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٨٩/١٨، طبقات الشّافعية الكبرى ٣٠٨/١ قال السّبكي مقدماً للقصيدة العينية: «أنشدنا أبو عبد الله محمّد بن أبي نصر الحميدي، أنشدني أبو غالب محمّد بن أحمد بن سهل النّحوي الواسطي المعروف بابن بشران بواسط، أنشدني الأمير أبو الهيجا محمّد بن عمران بن شاهين، أنشدني علي بن زريق أبو الحسن الكاتب البغدادي لنفسه»، وجاء في ثمرات الأوراق: «قال: أنشدني أبو غالب محمّد بن سهل النّحوي الواسطي المعروف بابن بشران بواسط، أنشدني الأمير أبو الهيجاء محمّد بن عمران بن زريق الكاتب البغدادي لنفسه...» ثمرات الأوراق، تقي الدّين أبو بكر بن علي بن محمّد بن حجة الحموي ت: ٨٣٧هـ تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٧٨هـ- ١٩٨٧م، ص٤٧٥.

(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة، معجم البلدان ٤٥٠/١.

(٣) الكامل في التّاريخ، لابن الأثير ت ٦٣٠هـ تحقيق: د. عمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ١٣٤/٨، المستفاد ١٨٩/١٨.

(٤) قال الثّعالبي: «أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: أنشدني أبو سليمان المنطقي ببغداد، قال: أنشدني ابن زريق لنفسه...» يتيمة الدّهر ٤٤٢/٢.

(٥) محمّد بن طاهر بن بهرام السجستاني، كان فاضلاً في العلوم الحكيمة، مطّلعاً على دقائقها، وكان أبو حيان التّوحيدي من بعض أصحابه المعتصمين به، ولأجله صنّف كتاب الإمتاع والمؤانسة، الوافي بالوفيات ٢٩/١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة الخزرجي، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة -بيروت- لبنان، ٤٢٧/١، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلة، إستانبول ١٩٥٥م، دار إحياء التّراث العربي- بيروت، ٦٠/٢.

(٦) قال الثّعالبي: «وأنشدني ابن زريق الكوفي لنفسه...» ثمار القلوب ص٤١٤.

(٧) ينظر: ديوان ابن زريق رقم القطعة «٢/١».

(٨) ينظر: ديوان ابن زريق رقم القطعة «١/١».

وممّا تقدّم أستطيع القول: إنّ الشّاعرين هما شاعرٌ واحد، وما مردُّ الاختلاف في نسبته إلا رحلته إلى الأندلس، فهو ابن زريق الكوفي قبل خروجه إلى الأندلس، وابن زريق البغدادي بعد دخوله الأندلس، والله أعلم بذلك، أمّا أخبار هذا الشّاعر فهي -كما سلفت الإشارة- تكاد تكون معدومة، فلم يصل إلينا منها إلا خبرٌ واحدٌ يشير إلى الحقبة التّاريخية الّتي عاش فيها ابن زريق، فقد قال الثّعالبي مقدِّماً لبعض أبيات ابن زريق: «وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمّد بن زريق يخاطب به أبا عبد الله الكوفيّ لَمَّا قُلِّدَ مكان أبي جعفر بن شيرزاد[٩]، وحصل في الدّار الّتي كان أبو جعفر يناظر فيها، وعلى دسته، وفي مثل حاله، وقد كان حضره قبل ذلك فَحُجِبَ»[١٠]، وتشير الأخبار أنّ بَجْكَم التّركي[١١] هو الّذي ولّى الكوفيّ بعدما عزل ابن شيرزاد سنة ٣٢٨هـ[١٢]، ولَمَّا وُلِّيَ ابن شيرزاد الوزارة مرّة ثانية، نفع ابن زريق واستخدمه[١٣].

(٩) محمّد بن يحيى بن شيرزاد، كان وزيراً لبجكم في أيّام الرّاضي بالله، ثمّ عُزل، ثمّ ردّ إلى الوزارة ثانية، له أخبار في الكامل في التّاريخ ٢٠١/٧، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدّين الذّهبي ت: ٧٤٨هـ تحقيق: د. عمر عبد السّلام تدمري، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ٩/٢٥- ٢١، سير أعلام النّبلاء، للذّهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرّسالة، بيروت- لبنان ، ط٩، ١٤١٣، ٢١/٢٥، العبر في خبر من غبر، للذّهبي، تحقيق: د. صلاح الدّين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤، ط٢، ٢٤٠/٢، تاريخ الخلفاء، لجلال الدّين السّيوطي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان- المنصورة، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ص٣٩١.

(١٠) يتيمة الدّهر ٤٤٣/٢، ورد الخبر أيضاً في تكملة تاريخ الطّبري ٤٢٦، وفي وفيات الأعيان ٤٦/٤.

(١١) أمير الأمراء ببغداد، كان عاقلاً شجاعاً، يفهم العربية ولا يتكلّم بها، ويقول: أخاف أن أخطئ والخطأ من الرّئيس قبيح، خلع عليه الخليفة، وقلّده الإمارة سنة ٣٢٥هـ بعد أن استحوذ بجكم على بلاد الأهواز، وفي سنة ٣٢٩هـ قتل، فوَلي إمرة الأمراء مكانه كورتكين الديلمي، للتوسع، ينظر: الكامل في التّاريخ ١٣٩/٧، تاريخ الإسلام ٦٤/٢٤، البداية والنّهاية، للحافظ ابن كثير ت: ٧٧٤هـ تحقيق: د. أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ١٢/١١، النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي الأتابكي ت: ٨٧٤هـ تحقيق: محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ٣١٤/٣، تاريخ ابن الوردي، لزين الدّين عمر بن مظفر الشّهير بابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ٢٦٣/١، تاريخ الخلفاء، ص٣٨٨.

(١٢) الكامل في التّاريخ ١٥٠/٧، وذهب ابن تغري بردي إلى أن العزل كان سنة ٣٢٩هـ وهي السّنة نفسها الّتي قُتل فيها بجكم التّركي، النّجوم الزّاهرة ٣١٠/٣.

(١٣) قال التّنوخي: «ت: ٣٨٤هـ» «أنشدتني عائدة بنت محمّد الجهنية لنفسها، وهذه امرأة فاضلةٌ كاتبةٌ، كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد، وخليفته على كتابة بجكم وسبكتكين في الدّيوان الّذي كان لأبي جعفر، وجاءه ابن زريق فحجب، ثمّ دخل بحيلة على ما أخبرنا، قال: فأنشدته هذه الأبيات، فلمّا ولي الوزارة نفعه، واستخدمه نشوار المحاضرة ٣٩٢/١».

ولَمَّا كان ابن زريق معاصراً لأبي القاسم بن زنجي «ت: ٣٧٨هـ»[١]، وأبي سليمان المنطقي «ت: ٤١٠هـ»، والأمير أبا الهيجاء محمّد بن عمران بن شاهين «ت: ٤١٢هـ»، وأبا منصور الثّعالبي «ت: ٤٢٩هـ»، أرجّح أنّه قال الأبيات في الكوفيّ، وهو في مقتبل العمر، وهذا يعني أنَّ تاريخ ميلاده كان في السّنوات الأولى بعد سنة ٣٠٠هـ ومن هنا أستبعد ما ذهب إليه تاج الدِّين السُّبكي من أنَّ ابن زريق عاصر صاحب بيت حكمة المأمون[٢]، كما أنّني أستبعد رأي بروكلمان من أنَّ ابن زريق كان كاتباً في بغداد في حدود ٤٢٠هـ[٣]، لأنَّه لا يمكن لرجل قد بلغ أرذل العمر[٤]، أن يتحمَّل مشقات السَّفر وأعباءها في سبيل البحث عن الرّزق والتّجدُّد، وكذلك أستبعد ما نقله الدُّكتور فؤاد سزكين: أنَّه توفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٥]، ولا شكَّ أنَّ ندرة أخبار هذا الشّاعر، والغموض الّذي لفَّ حياته هما اللّذان جعلا الباحثين ينزعون نحو التّرجيح والتّكهُّن في أثناء الحديث عنه، الأمر الّذي حدا ببعض الدّارسين إلى إنكار وجود هذا الشّاعر، فقد ذهب الأستاذ نعمان ماهر الكنعاني صاحب كتاب شعراء الواحدة إلى القول: «ابن زريق البغدادي، أو محمّد بن زريق البغدادي شاعرٌ عنقائيُّ الوجود، لامعُ الاسم، وهيهات أن يأتي باحثٌ بترجمة لحياة هذا الشّاعر تقطع دابر الشّك في وجوده»[٦]، ولا شكَّ أنَّ الأستاذ الكنعاني ذهب إلى ما ذهب إليه لأنّه لم يجد لابن زريق سوى قصيدته العينيّة، وقد شاع في أوساط الأدباء والباحثين أنَّ ابن زريق من شعراء الواحدة، ومن أولئك الدُّكتور محمود الرّبداوي الّذي قال في أثناء حديثه عن عينية ابن زريق: «وهي قصيدة يتيمةٌ لم نعرف لناظمها قصيدةً سواها»[٧]، وهذا الرّأي مجانب للصواب أيضاً فقد استطعت أن أجمع لابن زريق ثلاث قصائد، وعشر مقطعات، وقد أشار بروكلمان إلى وجود أرجوزة لابن زريق في الأخلاق، في برلين تحت الرّقم ٥٩/٣، ترجمها المستشرق Diels[٨]، كما أشار الدّكتور فؤاد سزكين إلى وجود قصيدة لابن زريق في رثاء ديك في برلين أيضاً تحت الرّقم ٦٢/١[٩]، وهذه القصيدة هي نفسها الّتي أثبتها الصّفدي في وفياته، أمَّا

(١) قال التنوخي مقدماً للخبر نفسه: «جلس جماعةٌ في دار الوزير أبي الفضل، فأنشدنا شيخ حضر من الكتّاب لابن زريق الكاتب في مثله، وهو أبو القاسم بن زنجي، قال أنشدني ابن زريق لنفسه في الكوفيّ، لَمَّا صرف»، نشوار المحاضرة ٣٩١/١، أمّا أبو القاسم بن زنجي فهو: إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن صالح البغدادي الكاتب، توفّي سنة ٣٧٨هـ تاريخ مدينة السّلام، الخطيب البغدادي ت: ٤٦٣هـ تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٣٠٩/٧، تاريخ الإسلام ٦٢١/٢٦.

(٢) فقد قال: «وعلي بن زريق الكاتب صاحب هذه القصيدة «العينية» هو القائل: حضرت مجلس القتبي صاحب بيت حكمة المأمون، وعنده فتيان أربعة قد نظروا في الأخبار، ورووا الأشعار، وتأدَّبوا بفنون الآداب، وكلّ فتى منهم ينتمي إلى جنس، ويقول بتفضيله، فقال القتبي وقد طال بهم المراء: ليقل كلّ واحد منكم في مجلسه بيتي شعر في فضل قومه، فقال المنتمي إلى الفرس.... قال علي بن زريق: فعجبت من افتخار التركي عليهم، قلت: لو أنَّ العربي قال...»، طبقات الشّافعية الكبرى ٣١٢/١- ٣١٣، والمؤسف أنّي لم أحظ بترجمة للقتبي بعد طول بحث وتقصّي، وكلّ ما وصلت إليه أنَّ القتبيّ نسبة إلى الجد، وإلى بطن من بَاهلة، فأمَّا النّسبة إلى الجدّ، فهو أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، صاحب التّصانيف المشهورة المتوفّى سنة ٢٧٦هـ وقيل ٢٧٠هـ وحفيده أبو أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة القتبي، ولد ببغداد سنة ٢٧٠هـ روى عن أبيه عن جدّه كتبه المصنفة، وأمَّا المنتسب إلى باهلة فهم رهط قتيبة بن معن بن باهلة، منهم: العلاء بن الهلال القتبي، وابنه هلال بن العلاء المتوفّى سنة ٢٨٠هـ الأنساب ٤٥٢/٤، اللباب في تهذيب الأنساب ١٥/٣، وأمَّا المأمون فهو أمير المؤمنين، المأمون بن هارون الرّشيد المتوفّى سنة ٢١٨هـ على اعتبار «آل» عهدية، فأنّى لابن زريق الّذي عاصر الأمير أبا الهيجاء المتوفّى سنة ٤١٢هـ برواية السُّبكي نفسه أن يلتقي صاحب بيت حكمة المأمون اللّهم إلا إذا قُصدَ بالمأمون رجلاً آخر غير الخليفة، وهذا أمرٌ مستبعد، لدلالة السّياق على ذلك.

(٣) تاريخ الأدب العربي: ٦٦/٢.

(٤) بناءً على ما توصل إليه البحث من أنَّ ميلاد ابن زريق يجب أن يكون في حدود ٣٠٠هـ

(٥) تاريخ التّراث العربي: مج٢، ج٥، ص٧٩.

(٦) نقلاً عن مقال بعنوان: «شعراء معروفون مجهولون» عبد الرّزاق بصير، مجلة العربي- الكويت، العدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٨م، ص١٠٥ وإلى مثل ذلك ذهب صاحب المقال، إذ قال في الصّفحة نفسها معلّقاً على قصيدة ابن زريق العينيّة: «وقد أحببت أن أقف على ترجمة ناظم هذه القصيدة.. ولكنّني لم أستطع أن أظفر بما أحببت، بالرّغم من أني رجعت إلى كثير من الكتب.. وبقيت مدّةً طويلةً أبحث عنه دون جدوى..»، ومن هنا ذهب الباحث خليل أحمد إبراهيم في مقال آخر إلى القول: «ولعلَّ عدم معرفة ما يمكن الثّقة به عن حياته -حياة ابن زريق- مما يكفي الباحث المدقّق حفز البعض على أن ينفي وجود شخصية ابن زريق جملةً وتفصيلاً، ويلتمس لرائعته العصماء صاحباً من الشُّعراء المعروفين في ذلك العصر يقترب أسلوبها من أسلوبه..» «ابن زريق البغدادي» خليل أحمد إبراهيم، مجلة جذور التّراث، النّادي الأدبي الثّقافي بجدة، العدد ١٣، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ- يونيه ٢٠٠٣م، ص٣٥٢.

(٧) «قصة قصيدة» لا تعذليه لابن زريق البغدادي، إعداد: د. محمود الرّبداوي، مجلة الفيصل- المملكة العربية السّعودية، العدد ٢١٤، سنة ١٩٩٤، ص٩٩، وكذلك ذهب الباحث خليل محمّد إبراهيم إلى أنَّه لا يوجد لابن زريق شعرٌ صحيح النّسبة إليه إلا قصيدته العينية، «ابن زريق البغدادي» مجلة جذور التّراث ص٣٥٠.

(٨) لم يكتف بروكلمان بالإشارة إلى تلك الأرجوز، بل أشار إلى وجود تشطير لها صنعة شاكر أباظة، طبع في القاهرة سنة ١٣١٣هـ تاريخ الأدب العربي ٦٦/٢، بيدَ أنّي لم أعثر على تلك الأرجوزة في مكتبة برلين تحت الرّقم المشار إليه، وذلك بمساعدة بعض الأصدقاء هناك، وإلى مثل ذلك ذهب الباحثان عبد الهادي صافي وعبد الغفار أحمد، إذ قال الأوّل منهما: «فلقد بحثت عن الأرجوزة في مكتبة برلين فلم أظفر بها، وبحثنا عن التّطشير الّذي صنعه لها شاكر أباظة في مكتبات القاهرة فلم نعثر عليها»، ينظر: «في رثاء ديك» عبد الهادي صافي- عبد الغفار أحمد، مجلة العربي- الكويت، العدد ٥٢٣، يونيو ٢٠٠٢م، ص١٦٨.

(٩) تاريخ التّراث العربي مج٢، ج٥، ص٨٠.

المخطوطة فقد جعل لها الباحثان عبد الهادي صافي، وعبد الغفار أحمد صورةً في مجلة العربي[١]، وأخيراً أرجو أن أكون قد وُفِّقت بإضاءة بعض جوانب حياة هذا الشّاعر المجهولة المعالم الّتي جعلت الباحثين في حيرة من أمرهم، لا يهتدون إلى ضالتهم، فمنهم من أنكر وجوده[٢]، ومنهم من جعله من شعراء الواحدة[٣]، ومنهم من جعله تاجراً حيناً وشاعراً حيناً آخر[٤].

شعر ابن زريق

أوّلاً: ما نُسِبَ إلى ابن زريق يقيناً:

«١/١»

قال الثّعالبي: أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان[٥]، قال: أنشدني أبو سليمان المنطقي ببغداد، قال: أنشدني ابن زريق لنفسه[٦]: [البسيط]

١- سَافَرْتُ أبْغِي لِبَغْدَادٍ وَسَاكِنِهَا
مِثْلاً فَحَاوَلْتُ شَيْئاً دُوْنَه اليَاسُ[٧]

٢- هَيْهَاتَ! بَغْدَادُ الدُّنْيَا بِأجْمَعِهَا
عِنْدِي، وَسُكَّانُ بَغْدَادٍ هُمُ النَّاسُ[٨]

«١/٢»

قال الثّعالبي: «وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمّد بن زريق يخاطب به أبا عبد الله الكوفي لَمّا قلّد مكان أبي جعفر في شيرزاد، وحصل في الدّار الّتي كان أبو جعفر يناظر النّاس فيها وعلى دسته، وفي مثل حاله، وقد كان حضره قبل ذلك فحجب»[٩]. [البسيط]

١- إنَّا رَأيْنَا حِجَاباً مِنْكَ قد عَرَضَا
فَلا يَكُنْ ذُلُّنَا فِيْه لَكَ الغَرَضَا[١٠]

٢- اِسْمَعْ لِنُصْحِي وَلا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَمَا
أبْغِي بِقَوْلِيَ لا مَالاً وَلا عَرَضَا[١١]

(١) «في رثاء ديك» مجلة العربي، العدد ٥٢٣، يونيو ٢٠٠٢م، ص١٧١- ١٧٢.

(٢) كالأستاذ: نعمان ماهر الكنعاني.

(٣) منهم الدّكتور: محمود الرّبداوي.

(٤) فقد تجلّى الاضطراب في أجلى صوره في مقال الباحث خليل أحمد إبراهيم، فهو تارةً يرى أنَّ عدم معرفة حياة الشّاعر يحفّز على نفي وجود شخصية ابن زريق، وتارةً يرى أنَّه قد يكون ابن زريق من شعراء الواحدة أمثال مالك بن الرّيب، وتارةً يرى أنَّ ابن زريق تاجرٌ، فقد قال: «والّذي يدفع إلى تصوُّر أنَّه تاجر عدم وجود أيِّ شعر صحيح النّسبة إليه غير هذا - أي غير عينيته- ولو كان شاعراً.. لوصلنا شعره»، وقال أيضاً: «وإذا تقرَّر اللجوء إلى قصيدته للتعرُّف عليها، فبعض ألفاظها يرجّح كونه تاجراً، وكذلك بعض أفكارها، فالشّعراء وهم يسافرون إلى الممدوحين يفكرون في نوال ممدوحيهم، فينعكس ذلك على شعرهم مستعملين النّوال ومرادفاته.. أمَّا ابن زريق فلم يستعمل هذه الألفاظ في قصيدته أبداً، وإنَّما استعمل كلمة الرّزق ومشتقاتها وهي الكلمة الّتي تغلب على استعمالات التّجار حتّى اليوم..»، وتارةً يرى أنَّ ابن زريق شاعرٌ لا يشقُّ له غبار، فالقصيدة «ترجّح أنَّه كان شاعراً راقياً رقيقاً اكتملت أدواته الفنية اكتمالاً يحسده عليه الكثير من كبار الشّعراء عدا المتشاعرين إلا أنَّ قدمه في حلبة الشّعر لم تثبت..»، «ابن زريق البغدادي» مجلة جذور التّراث ص٣٥٠- ٣٥٣، وما أعجب هذه الاستنتاجات، فالقصيدة الّتي يشير إليها الباحث ليس غرضها المدح، بل هي في النّسيب والشّكوى، فأنّى للشاعر أن يستخدم ألفاظ النّوال والعطاء في هذا الموطن، هذا من جهة، ومن جهة ثانية من قال: إنَّ طلب الرّزق مقصورٌ على التّجار دون سواهم، فمن المعلوم أنَّ كلَّ من على هذه البسيطة يسعى جاهداً لكسب الرّزق وكلٌّ بحسب مجاله، ومن جهة ثالثة تسرَّع الباحث في إطلاق الأحكام، فلو أنَّه أنعم النّظر في كتب التّراث ومحّص فيها لوجد أنَّ ابن زريق كاتبٌ وشاعرٌ عاش في القرن الرّابع الهجري، له -على الرَّغم من ضياع جلِّ نتاجه الشّعري- أشعارٌ غير عينيته العصماء.

(٥) أصله من أصبهان، استوطن نيسابور، عرف عنه شغف بالعلم، وقد جمع من الكتب الكثير، وله تصانيف عديدة كأخبار أبي العيناء، وأخبار ابن رومي، وغيرهما، وله شعر كثير، روى الثّعالبي عنه كثيراً من أخباره، ووصفه بقوله: «واقف من الآداب على أسرارها، قاطف من العلوم أحلى ثمارها، وبلغ من غلوِّه في محبتها، وشدَّة حرصه على اقتناء كتبها، أن ركب إلى قرارتها بغداد الشّقة، وتحمل فيها المشقَّة.. ليس بها غير الأدب أرب، ولا سوى الكتب طلب، أنفق على تلك الفوائد من الطّارف والتّالد ما عوضه عنه صنوف المحامد»، يتيمة الدّهر ٤٥٢/٤.

(٦) ١- ٢ في يتيمة الدّهر ٤٤٢/٢، وفي لطائف المعارف ص١٧١، وفي ثمار القلوب ص٤١٤، وفي أحسن ما سمعت، أبو منصور الثّعالبي ت: ٤٢٩هـ تحقيق: د. أنطونيس بطرس، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص٩١، وفي ربيع الأبرار ص٣١٠، وفي التّذكرة الحمدونية ١٤٤/٨، وفي معجم البلدان ٥٤٧/١، وفي نهاية الأرب ٣٣٤/١، وفي شروح سقط الزّند، ت: نخبة من الأساتذة، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م، ١٦٣١/٤.

(٧) في ثمار القلوب، وفي معجم البلدان: «..قد اخترت شيئاً..»، في ربيع الأبرار، وفي التّذكرة الحمدونية: «وذلك شيءٌ دونه.»

(٨) في معجم البلدان: «..والدّنيا..».

(٩) ١- ٤ في يتيمة الدّهر ٤٤٣/٢، وفي كتاب الدّعوات والفصول، للواحدي، علي بن سليمان النّيسابوري ت: ٤٦٨هـ تحقيق: د. عادل الفريجات، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص١١٦- ١١٧، وفي تكملة تاريخ الطّبري ص٤٢٥، وفي وفيات الأعيان ٤٦/٤ منسوبة إلى أسد بن زريق الكاتب.
١، ٢، ٤ في نشوار المحاضرة ٣٩١/١، وفي المنازل والدّيار، لأسامة بن منقذ ت: ٥٤٨هـ تحقيق: مصطفى حجازي، دار سعاد الصّباح، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص٣٤٨، من دون نسبة.

(١٠) في الدّعوات والفصول، وفي تكملة تاريخ الطّبري، وفي المنازل والدّيار: «منك أعرضنا»، في نشوار المحاضرة: «منك أرمضنا»، في البديع: «ذُلُّنا في عزِّك..».

(١١) في نشوار والمحاضرة، وفي البديع: «اسمع مقالي ولا تعجل علي.. أبغي بنصحك لا..»، وفي تكملة تاريخ الطّبري: «فاسمع مقالي.. أبغي بنصحك..»،

٣- الشُّكْرُ يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ وَكَمْ
سِوَاكَ قَدْ نَالَ مُلْكاً فَانْقَضَى وَمَضَى[١]

٤- في هَذِهِ الدَّارِ، فِي هَذَا الرِّوَاقِ عَلَى
هَذَا السَّرِيْرِ رَأَيْنَا الْمُلْكَ فَانْقَرَضَا[٢]

«١/٣»

وقال في عيادة المريض[٣]: [مجزوء الخفيف]

١- يَا مَرِيْضاً بِسُقْمِهِ
مَرِضَ الحِلْمُ وَالوَفَا[٤]

٢- لَمْ يَكُنْ تَرْكِيَ العِيَا
دَةَ هَجْراً وَلا جَفَا

٣- لَمْ أُطِقْ أَنْ أَرَاكَ - يَا
أَكْرَمَ النَّاسَ - مُدْنَفَا

٤- طَالَ خَوْفِيْ عَلَيْكَ فَالْ
حَمْدُ لِلَّهِ إِذْ كَفَى[٥]

«١/٤»

وقال أيضاً[٦]: [الوافر]

١- تَسَمَّعْ لِلْمَنَازِلِ مَا تَقُوْلُ
لأَمْرٍ مَا تَكَلَّمَتِ الطُّلُوْلُ

٢- وَكَيْفَ يُجِيْبُ سَائِلَهُ مَحَلٌّ
بِسُلْمَانِيْنِ مِنْ سَلْمَى مُحِيْلُ[٧]

٣- وَمِثْلُ الْمُسْتَهَامِ أَخِي التَّصَابِي
شَجَتْ أَطْلالُهَا الدُّرْسُ الْمُثُوْلُ[٨]

«١/٥»

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر[٩]: [المجتث]

١- أَبَا سَعِيْدٍ أَصِخْ لِي
يَا سَيِّدِيْ وَنَدِيْمِي

٢- مُنِيْتُ أَمْسِ بِأَمْرٍ
مِنَ الأُمُوْرِ عَظِيْمِ

٣- حَصَلْتُ عِنْدَ صَدِيْقٍ
حُرٍّ ظَرِيْفٍ كَرِيْمِ

٤- [أَسْقِي] عَلَى شَدْوِ دُبْسِيْ
يَةٍ فَتَنْفِي هُمُوْمِي[١٠]

٥- فَكُنْتُ حِيْنَ تُغَنِّي
لَدَى جِنَانِ النَّعِيْمِ

٦- وَإِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا
فَفِي العَذَابِ الأَلِيْمِ

٧- وَإِنْ شَرِبْتُ بِصَوْتٍ
فَالرَّاحُ بِالتَّسْنِيْمِ

٨- وَإِنْ شَرِبْتُ بِلَحْظٍ
فَالْمُهْلُ بِالزَّقُّوْمِ

وفي وفيات الأعيان: «اسمع مقالي ولا تغضب عليَّ فما أبغي بذلك..»، في المنازل والدّيار: «اسمع مقالي ولا تغضب علي فما أبغي بنصحك..».

(١) في البديع: «العزُّ يفنى وإن طال الزّمان به قد كان قبلك عزٌّ فانقضى..»، في تكملة تاريخ الطّبري: «فكم..».

(٢) في تكملة تاريخ الطّبري: «هذي الوسادة كان العزّ فانقرضا»، وفي البديع: «في هذا المكان على هذي المراتب كان العزُّ..»، وفي المنازل والدّيار: «في هذا المكان.. رأيت العزَّ..»، في نشوار المحاضرة: «في هذا المكان على هذي الوسادة كان العزُّ..»، في وفيات الأعيان: «رأيت العزَّ..».

(٣) ١- ٤ في يتيمة الدّهر ٤٤٢/٢، وفي المنتخل، لأحمد بن علي الميكالي ت: ٤٣٦هـ تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ٩٤٣/٢، وفي نهاية الأرب ٢٧١/٢.

(٤) في المنتخل: «يا سقيماً بسقمه سقم العلم والوفا»، وفي نهاية الأرب: «..لسقمه مرض العلم..».

(٥) جاء في يتيمة الدّهر: «إذا كفى»، وقد أهملت هذه الرّواية مع العلم أنّها الأقدم لأنّ فيها خللاً عروضياً.

(٦) ١- ٣ الأنوار ومحاسن الأشعار، لأبي الحسن الشّمشاطي «القرن الرّابع الهجري» تحقيق: السّيد محمّد يوسف، سلسلة التّراث العربي، تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، ع «١٩»، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، ٦٣/٢- ٦٤، قال المؤلف: وللزريقي، ثمّ روى الأبيات الثّلاثة، والزّريقي: نسبةٌ -كما سلفت الإشارة- لابن زريق البغدادي، قال ابن حجر: «الزّريقي: شاعر مشهور، وله قصيدةٌ عينيّة يقال لها: قصيدة ابن زريق»، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٦٥٨/٢.

(٧) سلمانان: علم مرتجل بلفظ التّثنية، ويُروى سُلمانينَ بكسر النّون الأولى، وفتح النّون الثّانية، بلفظ جمع السّلامة لسلمان، وهو الأكثر، فمن رواه مثنى قال: هما واديان في جبل لغني، ومن رواه بلفظ جمع السّلامة، قال: واد يصب على الدّهناء، أمّا «سَلمانان» بفتح السّين فهو من قرى مرو، معجم البلدان ٢٣٩/٣.

(٨) المثول: الرّسوم، لسان العرب، مادة: «مثل».

(٩) ١- ٩ في يتيمة الدّهر ٤٤٢/٢- ٤٤٣.

(١٠) أظُنُّ أنّها «أُسْقَى»، والدُّبسيّة: مؤنث دُبسيّ، وهو طائر صغير أدكن، تاج العروس، مادة «دبس».

٩- فَكَـــــانَ سَـــــمْعِيْ بَخَيْـــــرٍ
وَمُقْلَتِـــــيْ فِـــــي الجَحِـــــيْمِ
«١/٦»

وقال في شعر الصُّولي[١]: [السّريع]

١- دَارِيْ بِـــــلا خَـــــيْشٍ وَلَكِنَّنِـــــي
عَقَـــــدْتُ مِـــــنْ خَيْـــــشِيَ طَـــــاقَيْنِ[٢]

٢- دَارٌ إِذَا مَـــــا اشـــــتَدَّ حَـــــرٌّ بِهَـــــا
أَنْـــــشَدْتُ لِلـــــصُّوْلِيِّ بَيْتَـــــيْنِ[٣]

ثانياً: ما نُسِبَ إلى ابن زريق ونُسِبَ إلى غيره.

أوّلاً: ما ثَبُتَت نسبَتُهُ إلى ابنِ زُرَيقٍ:

«٢/١»

تعدُّ عينيّته من عيون الشّعر العربي، وقد حظيت باهتمامٍ بالغٍ[٤] حتّى قيل: من تمذهب للشّافعي، وقرأ لأبي عمرو، ولبس البياض، وتختَّم بالعقيق، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل الظّرف[٥]، أمّا مناسبة القصيدة فقد اختلف فيها[٦]، ولكن

(١) ١- ٢ وفي يتيمة الدّهر ٤٤٢/٢، وفي رسائل الثّعالبي، أو نثر النّظم وحل العقد ص١١٨، وفي الكناية والتّعريض، لأبي منصور الثّعالبي، تحقيق: أسامة البحيري، مكتبة الخانجي، مصر- القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص١١٤، وفي الوافي بالوفيات ١٢٦/٥.

(٢) في رسائل الثّعالبي: «بيتي بلا.. لو شئت كان الخيش طاقين»، وفي الوافي بالوفيات: «من خيشين..»، والخيش: نسيج من الكتّان الرّديء، لسان العرب، مادة «خيش».

(٣) في رسائل الثّعالبي: «بيتٌ إذا آلمني حزُّه»، في الكناية والتّعريض: «حرّي بها..»، هذا وقد حلّ الثّعالبي هذا النّظم بقوله: «قد قوي سلطان الحرّ، وفُرش له بساطُ الجمر، واقتبست الهواجرُ نارَهَا من قلب المهجور، حتّى زادت على التّنور المسجور، فإذَا تَبَرَّمْتُ معها بالعيش، وأعوزَتْني الحيلةُ في الثّلج والخيش، عَمدتُ إلَى شعر الصُّوليِّ، فأنشَدْتُ منه بيتين، وردَدْتُهُ مرّتين، فأجِدُ قِناعَ الحرِّ قَد انحسر، وأذاهُ قد انحصر، وأرَى عقاربَ البرد تدبُّ إليَّ، وعواصَفَهُ تهبُّ عليَّ، فَأَعْجِبْ بشعر يُعيْدُ المصيفَ خريفاً، بل شَتاءً كثيفاً، ويا له من دواء نافع من الحَرِّ الشّديد لَو لم يأتنَا بالزّمهرير العتيد»، رسائل الثّعالبي ٣٩٢/١، أمّا الصُّوليُّ: فهو محمّد بن يَحيى بن عبد الله بن محمّد بن صول، أبو بكر الصُّوليّ الشّطرنجيّ، من أكابر علماء الأدب، حَسَنُ المعرفة بأيّام النّاس، وطبقات الشّعراء، واسع الرّواية كثير الحفظ، له مصنفات كثيرة منها: الأوراق، والوزراء، وأدب الكاتب، وغيرها، وإليه انتهى علم الهندسة والشّطرنج، نادم ثلاثة من خلفاء بني العبّاس، وهم: الرّاضي، والمكتفي، والمقتدر، توفّي سنة ٣٣٦هـ وقيل: ٣٣٥هـ وفيات الأعيان ٣٥٦/٤، الوافي بالوفيات ١٢٥/٥، مرآة الجنان ٣١٩/٢، النّجوم الزّاهرة ٣٣٩/٣.

(٤) المخطوطات: لاله لي: ١٨٨٤/٣ «الورقة ٦٥أ- ٦٦أ»، برلين ٧٦٠٦ «الورقة ٩٦أ- ٤٠ بيتاً»، ٨٢١٩ «الورقة ٥٦ب، ١٥ بيتاً»، ٨٢٣١/٦ «الورقة ١٦٥»، ٨٢٤٧ «الورقة ٩ب»، ٨٢٥٢ «الورقة ٢٠ب»، ٨٢٥٥/٥٣ «الورقة ١٧٢ب- ١٧٣ب، ٣٨ بيتاً»، ٨٢٦٥/٦ «الورقة ٨٩ب- ٩٠ب، ٣٨ بيتاً»، ٨٤٨٢ «الورقة ٥٣ب- ٤٠ بيتاً»، ٨٥٠٧ «الورقة ٩٦أ»، ٨٥٢١ «الورقة ٣١أ»، نقلاً عن تاريخ التّراث العربي مج٢، ج٥، ص٨٠، مكتبة الأسد الوطنية ١٩٢٧/١١ «الورقة ٧٤- ٧٥، ٤٠ بيتاً»، ٤٣٥٦/٥ «الورقة ٧٨- ٧٩، ٣٨ بيتاً»، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرّقمية ١٨٣٠/٤ «الورقة ٣٤- ٣٥، ٤٠ بيتاً»، ١٧٦٢/٤ «الورقة ٢٣- ٢٤، ٤٠ بيتاً»، وهناك شروحٌ عليها:

شرح لعلي بن عبد الله بن أحمد العلوي «ت: ١٧٨٤م» بعنوان: «إشارات التّحقيق الفيضية إلى خبايا القصيدة الزّريقيّة»، يوجد مخطوطاً في برلين ٧٦٠٧/٣.

شرح لولي الدّين «ت: ١٩٢١م» بعنوان: «فكاهة ذوي الفطن في شرح عينيّة أبي الحسن»، طبع بالقاهرة ١٣١١هـ

تخميس لشهاب الدّين أبي العبّاس أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني «ت: ١٤١٣م» يوجد مخطوطاً في برلين ٧٦٠٧/٢.

تخميس لطه أفندي أبي بكر بعنوان: «بث الشّجن على عينيّة أبي الحسن» طبع بالقاهرة ١٣١٢هـ ينظر تاريخ التّراث العربي، مج٢، ج٥، ص٨٠، وتاريخ الأدب العربي- بروكلمان ٦٦/٢- ٦٧.

تخميس لحسن عارف الأديب المحمودي اللاذقي بعنوان: «تخميس قصيدة ابن زريق البغدادي» طبع في مطبعة جريدة بيروت- بيروت ١٣١٧هـ

(٥) في الوافي بالوفيات ٧٧/٢١، وفي طبقات الشّافعية الكبرى ٣٠٨/١، وفي مطالع البدور ومنازل السّرور ٤٧٢/٢، وفي ثمرات الأوراق ص٤٧٥، وفي كشف الظّنون ١٣٢٩/٢.

(٦) ذهب الصّفدي إلى أنّ القصيدة نُظِمَت في مدح العميد أبي نصر وزير طغرلبك، الوافي بالوفيات ٧٦/٢١، وبالطّبع لا يمكن تقبّل هذا الكلام، وحال القصيدة يؤكّد ذلك، فهي أبعد ما تكون عن غرض المدح، ونقل السّبكي عن ابن السّمعاني أنّ لهذه القصيدة قصة عجيبة، فروى بسنده أنّ رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبد الرّحمن الأندلسي، وتقرَّب إليه بنسبه، فأراد عبد الرّحمن أن يبلوه ويختبره، فأعطاه شيئاً نزراً، فقال الشّاعر: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! سلكت البراري والبحار، والمهامه والقفار إلى هذا الرّجل، فأعطاني هذا العطاء النّزر؟! فانكسرت إليه نفسه، واعتلَّ، فمات، وشغل عنه الأندلسي أيّاماً، ثمّ سأل عنه، فخرجوا يطلبونه، فانتهوا إلى الخان الّذي كان فيه، وسألوا الخانية عنه، فقالت: إنّه كان في هذا البيت، ومذ أمس لم أره، فصعدوا، فدفعوا الباب، فإذا بالرّجل ميتاً، وعند رأسه رقعة فيها مكتوب «القصيدة» فلما وقف أبو عبد الرّحمن على هذه الأبيات بكى حتّى اخضلّت لحيته، وقال: وددت أنّ هذا الرّجل حيٌّ، وأشاطره نصف ملكي، وكان في الرّقعة: منزلي ببغداد في الموضع المعروف بكذا، والقوم يعرفون بكذا، فحمل إليهم خمسة آلاف دينار وسُفْتَجَة، أي «كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً قرضاً يأمن به من خطر الطّريق» وحصلت في يد القوم، وعرّفهم موت الرّجل.

طبقات الشّافعية ٣١١/١- ٣١٢، وكذلك روى السّراج القاري الخبر السّابق عن البزاز التّكريتي، مصارع العشاق ٢٣/١، وذهب صاحب نفح الأزهار إلى أنّه كان لابن زريق ابنة عمٍّ قد كلف بها أشدّ الكلف، ثمّ ارتحل عنها من بغداد لشدة عوزه وفاقته، وكانت هي سبب وفاته، إذ إنّه تذكرها وهو في غربته، وآلمه ما آل عليه حاله، فاعتلَّ ومات، نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، لشاكر شقير، المكتبة التّجارية الكبرى، شارع محمّد علي- مصر، ص٥ وأنا

أستبعد هذه القصة، وأظنُّ كلَّ الظّنِّ أنَّها من نسج الخيال ووضع الرّواة الّذين حاولوا إضفاء مسحة دراميّة على هذه القصيدة الّتي لاقت ما لاقت من الشّهرة والذّيوع، أمَّا الأسباب الّتي حملتني إلى إنكار هذا الخبر الدّرامي فهي:

أوّلاً: رواية القصيدة بسند متصل إلى ابن زريق في طبقات السّبكي، فقد قال السّبكي مقدِّماً للقصيدة: «وقصيدة علي بن زريق الكاتب البغدادي غراء بديعة، أخبرنا بها أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الخبَّاز قراءةً عليه وأنا أسمع، أخبرنا: أبو الحسن بن البخاري، وأبو العبّاس أحمد بن شيبان بن تغلب الشّيباني، وزينب بنت مكي بن علي الحراني إجازةً، قالوا: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمّد بن معمر بن طبرزد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن نبهان الغنوي، أنشدنا أبو عبد الله محمّد بن أبي نصر الحميدي، أنشدني أبو غالب محمّد بن أحمد بن سهل النّحوي الواسطي المعروف بابن بشران بواسط، أنشدني: الأمير أبو الهيجاء محمّد بن عمران بن شاهين، أنشدني: علي بن زريق أبو الحسن الكاتب البغدادي لنفسه»، وهذا يعني أنَّ ابن زريق لم يكتب القصيدة وهو على فراش الموت كما ذهبت القصة، بل كتبها بعد تأمّلٍ وتدبّر، أمَّا سند القصّة فهو منقطع، فلم يشر السُّبكي إلى السّند بل قال: «روى -ابن السّمعاني- بسنده»، وهذا يوحي بعدم تثبُّت السّبكي من ذاك السّند، وكذلك الأمر بالنّسبة لسند السّرّاج القاري فقد قال: «أخبرنا أبو الحسين محمّد بن علي بن محمّد بن الجاز القرشي الأديب بالكوفة، وأنا متوجِّه إلى مكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة بقراءتي عليه، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن حاتم بن بكير البزاز التّكريتي بتكريت، قال: حدثني بعض أصدقائي أنّ رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبد الرّحمن الأندلسي وتقرب إليه بنسبه..»، ففي قوله: حدثني بعض أصدقائي انقطاع، فمن هذا الصّديق؟ وهل هو ثقة في نقل الأخبار؟ ومن أين جاء بالخبر؟.. كلُّ هذا يدفع إلى الغمز في صحة الرّواية.

ثانياً: لم تُنْسَب القصيدة في هذا الخبر إلى ابن زريق صراحةً، بل نُسِبَتْ إلى رجلٍ من بَغداد.

ثالثاً: جاء في هذا الخبر أنَّ القصيدة وُجِدَتْ عند رأس ذلك الرّجل البغدادي بعد موته، وهذا لا يشير ضرورةً إلى أنَّه هو ناظمها، فقد يكون قد حملها معه، وهي ليست له.

رابعاً: تعجُّب القدماء من هذه القصّة، قال السّبكي: «وذكر ابن السّمعاني لهذه القصيدة قصة عجيبة»، ممَّا يوحي باستهجانه لهذا الخبر، وعدم تثبُّته منه.

خامساً: لم تترجم المصادر الّتي روت هذا الخبر للأمير أبي عبد الرّحمن الأندلسي الّذي أراد أن يختبر ابن زريق، فلم يستطع أحد أن يأتي بترجمة لهذا الرّجل، وكذلك لم أستطع بعد طول بحثٍ في المصادر والمراجع أنَّ أعثر على أيّ معلومة تتعلّق بهذا الأمير.

سادساً: فقدان القصيدة الّتي مدح بها الرّجل البغدادي الأمير أبا عبد الرّحمن الأندلسي، فقد سكتت المصادر ولاسيّما الّتي روت الخبر عنها، ولم تشر إلى بيت واحد من أبياتها، فلو أنَّ هناك قصيدة في مدح هذا الرّجل لأسرع الرّواة إلَى ذكرها أو ذكر بعض أبياتها حتّى يدعموا ما ذهبوا إليه.

سابعاً: ما الّذي يدفع الأمير -إن كان هناك أميرٌ اسمه أبو عبد الرّحمن- إلى اختبار شاعرٍ قطع إليه تلك المسافات الشّاسعة من دون سبب، ولاسيّما أنَّ ذاك الشّاعر مشرقيٌّ بغداديٌّ، ومن المعروف عن الأندلسيين ميولهم إلى الثّقافة المشرقية، ومحاولة تقليدها، واجتهاد أمرائهم باستقطاب المشارقة إليهم من شعراء وعلماء وغيرهم، والإغداق عليهم، ليكونوا زينةَ مجالسهم، ...

القصيدة لاقت من الذّيوع والانتشار ما لاقت، وهي[1]: [البسيط]

والأمثلة على ذلك كثيرة: فقد أكرم الحكم المستنصر أبا علي القالي، وقدَّم الحاجب المنصور صاعداً البغدادي والمهند البغدادي وغيرهما، وأغدق المأمون بن ذي النّون على أبي الفضل البغدادي.. الخ.

(١) ١- ٤١ ما عدا البيت «٢٦» في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ص٤٧٥- ٤٧٨، وفي الوافي بالوفيات ٧٧/٢١- ٧٨، وفي طبقات الشّافعية الكبرى ٣٠٨/١- ٣١١، وفي نفح الأزهار ص٥- ٧، هذا وقد تفرد صاحب نفح الأزهار برواية بيت لم أثبته في متن القصيدة وذلك بعد البيت «٤٠» وهو:

وَإنْ يَدُمْ أَبَداً هَـذَا الْفِـرَاقُ لَنَـا ... فَمَـا الَّـذي بِقَـضَاءِ اللهِ نَـصْنَعُهُ

١- ٤١ عدا الأبيات «٢٥، ٢٦، ٣١» في الكشكول ١٥٦/٢- ١٥٨.

١- ٤١ عدا الأبيات «٢٩، ٣٠، ٣١»، في أنوار الرّبيع ١٧٨/٤- ١٨١.

١، ٢، ٤، ٦، ٨، ١٥، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ١٣، ٢٣، ٢٦، في مصارع العشاق ٢٣/١- ٢٤.

١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، في المنازل والدّيار، ٣٣- ٣٤.

٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، في الغيث المسجم، ١٧١/١.

١٥، ١٦، ١٧، ١٨، في السّحر والشّعر، لسان الدّين بن الخطيب ت: ٧٧٦هـ تحقيق: د. محمّد كمال شبانة، دار الفضيلة، القاهرة- مصر ص٢٣١.

١٥، ١٦، ١٧، ١٨، في يتيمة الدّهر ٣٤٠/١ منسوبة إلى الوأواء الدّمشقي، أبي الفرج الغساني.

١٧، ١٨، ٢٨، ٣٦ في العود الهندي عن أمالي ديوان الكندي، السّيد عبد الرّحمن بن عبيد الله السّقاف، دار المنهاج، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ١٦٤/١، ١٩٦.

١٥، ١٦ في الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التّوحيدي ت: في حدود ٤٠٠هـ تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ص٢٦٨.

١، ١٧ في الأنساب للسمعاني ١٥٠/٣.

١- في فوات الوفيات ٦٤/١، وفي معاهد التّنصيص ٢٥/٢، وفي تاج العروس مادة «زرق»، وفي توضيح ١٦٩/٤، وفي البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، محمّد بن علي الشّوكاني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ص٢٦٧، وفي كشف الظّنون ١٣٢٩/٢.

٢- في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظّرفاء، ابن عربشاه ت: ٨٥٤هـ تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية- القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ص٢٣١.

١٥- في المحاسن والأضداد، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت: ٢٥٥هـ تحقيق: د. علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت- لبنان ١٩٩٦م، ص٣٣٣، وفي نشوار المحاضرة ٢٦٧/٧، وفي جذوة المقتبس ١٢٢/١، وفي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لعبد الرّحمن بن علي بن محمّد بن الجوزي ت: ٥٩٧هـ تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ٢٦٣/١٤، وفي ذم الهوى، لابن الجوزي ت: ٥٩٧هـ تحقيق: خالد عبد اللطيف السّبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص٢٥٨، وفي بغية الملتمس ١٤٠/١ من دون نسبة، وفي شرح مقامات الحريري، لأبي العبّاس الشّريشي ت: ٦١٩، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان ...

١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ٣٢٧/٢، وفي المطرب من أشعار أهل المغرب ص٦٣، وفي الرّوض المعطار في خبر الأقطار، محمّد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: د. إحسان عبّاس، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٧٥م، ص٥٢ من دون نسبة، وفي زهر الآداب وثمر الألباب ٢٠٤/٣، وفي وفيات الأعيان ٣٣٨/٥ منسوب إلى ابن زريق.

١٧- في الإكمال ١٥٢/٤.

ممّا تقدّم يلاحظ مدى الاهتمام بهذه القصيدة، والإجماع على نسبتها إلى ابن زريق، ولا بدَّ من الإشارة في هذا الموطن إلى أنّ البيت «١٥» ليس لابن زريق يقيناً، وذلك لما رواه الجاحظ «ت: ٢٥٥هـ» في معرض حديثه عن القيان على لسان أبي علي الأسكري المصري: «كنت من جلّاس تميم بن تميم، وممّن يخفُّ عليه، فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء، فدعا بجلساته، وقدّمت السّتارة، فغنت.. فأحسنت ما شاءت، فطرب تميم ومن حضر، ثمّ غنّت:

أَسْتَودِعُ الله في بَغْدَادَ لي قَمَراً ... بَالكَرْخ منْ فَلَك الأَزْرَار مَطْلعُهُ

فأفرطَ تميم في الطّرب جداً، وقال لها: تمنّي ما شئت، فلك مناك.. فقالت أتمنّى أنّ أغني هذه النّوبة في بغداد».

فاستاء تميم من ذلك، ولبّى رغبتها، ولكنه فقدها، لأنّها فرّت عندما وصلت إلى النّاصرية على خمسة أميال من بغداد، المحاسن والأضداد ص٣٣٣- ٣٣٤، وهذا يؤكّد أنّ البيت ليس لابن زريق الّذي كانت ولادته على الأرجح بعد سنة «٣٠٠هـ»، فهناك مدّة زمنية كبيرة تفصل ما بين الجاحظ وابن زريق فأنّى للأوّل أن يروي شعر الأخير، هذا وقد روى الخبر السّابق التّنوخي «ت: ٣٨٤هـ» في نشوار المحاضرة، ٢٦٧/٧، والحميدي «ت: ٤٨٨هـ» في جذوة المقتبس ١٢٢/١، وابن الجوزي «ت: ٥٩٧هـ» في المنتظم ٢٦٣/١٤، وفي ذم الهوى ص٢٥٨، والضّبي «ت: ٥٥٩هـ» في بغية الملتمس ١٤٠/١، وابن دحية «ت: ٦٣٣هـ» في المطرب ص٦٣، وابن خلّكان «ت: ٦٨١هـ» في وفيات الأعيان ٣٣٨/٥، وآخرون، أمّا تميم بن تميم فلم أعثر على ترجمة له، وفيما يبدو أنّ ابن خلّكان قد جانب الصّواب عندما قال: «وهذا تميم هوَ أبو المعزّ بن باديس المذكور في حرف التّاء».

لأنّ تميماً بن المعزّ الصّنهاجي الّذي ترجم له ابن خلّكان توفّي سنة ٥٠١هـ والخبر رواه الجاحظ المتوفّى سنة ٢٥٥هـ

أمّا أبو حيّان التّوحيدي فقد وصف حالة الطّرب العجيبة الّتي تنتاب ابن فهم الصّوفي، فإذا سمع غناء «نهاية» جارية ابن المغني، وهي تقول:

أَسْتَودِعُ الله في بغدادَ لي قمراً ... بالكرخ من فَلَك الأَزْرار مطلعُهُ

وَدَّعتُهُ وَبَودِّي لَو يُوَدِّعُني ... صفوُ الحَياة وَأَنّي لا أُوَدِّعُهُ

«ضَرَب بنفْسه الأَرض، وتمرّغ في التّراب، وهاج، وأزبد، وتعفّر شعرهُ.. ومن يجسر علَى الدّنو منه، فإنّه يعضُّ بنابه، ويخْمشُ بظفره، ويركل برجله، ويُخرِّق الْمُرَقَّعة قطعةً قطعة، ويلطم وَجهه ألفَ لطمة في ساعة..»، الإمتاع والمؤانسة ص٢٦٨، ومن هنا يمكن القول: بما أنّه ثبت يقيناً عدم نسبة البيت «١٥» إلى ابن زريق البغدادي، فهذا يعني: أنّه يوجد أبياتٌ أخرى في متن القصيدة -إن لم تكن القصيدة كاملة- ليست لابن زريق، لأنّ الجاحظ وغيره ممّن رووا خبر المغنية، وكذلك أبو حيان التّوحيدي اكتفوا بذكر مطلع القصيدة، وأنا أقول مطلع لأنّه من غير الممكن أن يحصل ذلك الطّرب العجيب بمجرد ذكر بيت شعر أو بيتين مهما بلغا من الحلاوة والطّلاوة، أمّا إذا قُرِئَت القصيدةُ كاملة فإنّهاً تُدرك حالة الطّرب الّتي وصل إليها تميم، أو ابن فَهم الصّوفي، فهي تفيض عذوبةً، وحلاوةً، ورونقاً، وتزخر بمشاعر ...

١- لا تَعْذُلِيْـــهِ فَـــإنَّ العَـــذْلَ يُوْلِعُـــهُ ... قَـدْ قُلْـتِ حَقّـاً وَلَكِـنْ لَـيْسَ يَـسْمَعُهُ[١]

٢- جَـاوَزْتِ فِـيْ لَوْمِـهِ حَـدّاً أَضَـرَّ بِـهِ ... مِـنْ حَيْـثُ قَـدَّرْتِ أنَّ اللَّـوْمَ يَنْفَعُـهُ[٢]

٣- فَاسْـتَعْمِلِي الرِّفْـقَ فِـيْ تَأْنِيْبِـهِ بَـدَلاً ... مِنْ عَذْلِـهِ فَهْـوَ مَـضْنَى القَلْـبِ مُوْجَعُـهُ[٣]

٤- قَـدْ كَـانَ مُـضْطَلِعاً بِالْخَطْـبِ يَحْمِلُـهُ ... فَـضُلِّعَتْ مِـنْ خُطُـوْبِ الـدَّهْرِ أَضْـلُعُهُ[٤]

٥- يَكْفِيْـهِ مِـنْ لَوْعَـةِ التَّفْنِيْـدِ أنَّ لَـهُ ... مِـنَ النَّـوَى كُـلَّ يَـوْمٍ مَـا يُرَوِّعُـهُ[٥]

٦- مَـا آبَ مِـنْ سَـفَرٍ إلَّـا وَأَزْعَجَـهُ ... رَأيٌ إلَـى سَـفَرٍ بِـالبَيْنِ يُجْمِعُـهُ[٦]

٧- تَـأبَى الْمَطَالِـبُ إلَّـا أنْ تُجَـشِّمَهُ ... لِلـرِّزْقِ كَـدْحاً وكَـم ممَّـنْ يُوَدِّعُـهُ[٧]

رقيقة، وعواطف جياشة ضمنت لها ذاك الانتشار والذّيوع حتّى يومنا هذا، والسّؤال الصّعب الّذي يطرح نفسه هنا: من صاحب تلك الأبيات؟ من العسير جداً -في ضوء ما وصل إلينا من كتب التّراث- تحديد هوية قائلها، إذ لم يُشَكّك أحد ممّن روى القصيدة في نسبتها إلى ابن زريق البغدادي إلّا ما ذهب إليه الثّعالبي «ت: ٤٢٩هـ» الّذي تفرّد في نسبة الأبيات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ إلى الوأواء الدّمشقي من دون أن يشير إلى أيّ دليل أو مصدر، وبالطّبع لا يمكن تقبُّل هذه النّسبة للأمر نفسه الّذي منع نسبتها إلى ابن زريق فهناك مدةٌ زمنيةٌ طويلة تفصل ما بين الجاحظ والوأواء الدّمشقي المتوفّى سنة ٣٨٥هـ وهكذا تبقى بعض أبيات القصيدة مجهولة القائل إلى أن يجود علينا الزّمن بما يرفع الحجب عنها، ويميط اللثام عن صاحبها.

(١) في ثمرات الأوراق: «فإنّ العذل يوجعه..».

(٢) في مصارع العشاق، ونفح الأزهار: «في نصحه.. النّصح ينفعه»، وفي طبقات الشّافعية: «يضرُّ به..»، وفي الوافي بالوفيات: «حدّ المضرّ به..»، وفي فاكهة الخلفاء: «اللّوم حداً قد أضرّ..».

(٣) في ثمرات الأوراق، وطبقات الشّافعية، وأنوار الرّبيع، ونفح الأزهار: «من عنفه..»، وفي الوافي: «..من عسفه..».

(٤) في مصارع العشاق: «بخطوب البين..»، وفي ثمرات الأوراق: «مضلعاً بالبين.. فضلّعت بخطوب البين..»، وفي الوافي، وأنوار الرّبيع ونفح الأزهار: «بخطوب البين»، مضطلع: قوي على الأمر، ونهض به، اللّسان، مادة «ضلع».

(٥) في الوافي، والغيث المسجم، وطبقات الشّافعية، ونفح الأزهار: «من روعة..»، التّفنيد: اللّوم، وتضعيف الرّأي، لسان العرب، مادة «فند».

(٦) في مصارع العشاق، ونفح الأزهار: «عزم إلى سفر بالرّغم يُزمعه»، وفي طبقات الشّافعية: «بالعزم يجمعه»، في الغيث المسجم: «بالرّغم يزمعه»، وفي ثمرات الأوراق، والوافي، وأنوار الرّبيع: «بالرّغم يجمعه».

(٧) في ثمرات الأوراق، وطبقات الشّافعية: «تأبى المطامع.. للرزق كدّاً»، وفي ...

٨- كَأَنَّمَـا هـوَ مِـنْ حِـلٍّ وَمُرْتَحَـلِ
مُوَكَّـلٌ بِفَـضَاءِ الأَرْضِ يَذْرَعُـهُ[١]

٩- إذا الزِّمَـاعُ أَرَاهُ فِـي الرَّحِيْـلِ غِنَـىً
وَلَوْ إِلَـى السِّنْدِ أَضْـحَى وَهْـوَ يَزْمَعُـهُ[٢]

١٠- ومَـا مُجَاهَـدَةُ الإِنْـسَانِ وَاصِـلَةً
رِزْقـاً وَلا دَعَـةُ الإِنْـسَانِ تَقْطَعُـهُ[٣]

١١- قَـدْ وَزَّعَ اللهُ بَـيْنَ الخَلْـقِ رِزْقَهُـمُ
لَـمْ يَخْلُـقِ اللهُ مِـنْ خَلْـقٍ يُـضَيِّعُهُ[٤]

١٢- لَكِـنَّهُمْ كَلَّفُـوا حِرْصـاً فَلَسْتَ تَـرَى
مُـسْتَرْزِقاً وَسِـوَى الغَايَـاتِ تُقْنِعُـهُ[٥]

١٣- والحِرْصُ في الرِّزْقِ وَالأَرْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ
بَغْـيٌ أَلا إِنَّ بَغْـيَ الْمَـرْءِ يَـصْرَعُهُ[٦]

١٤- والدَّهْرُ يُعْطِي الفَتَى مِنْ حَيْثُ يَمْنَعُهُ
إِرْثـاً وَيَمْنَعُـهُ مَـنْ حَيْـثُ يُطْمِعُـهُ[٧]

١٥- أَسْـتَوْدِعُ اللهَ فِـيْ بَغْـدَادَ لِـيْ قَمَـراً
بِـالكَرْخِ مِـنْ فَلَـكِ الأَزْرَارِ مَطْلِعُـهُ

١٦- وَدَّعْتُـهُ وَبِـوُدِّيْ لَـوْ يُـوَدِّعُنِي
صَـفْوُ الحَيَـاةِ وَأَنِّـي لا أُوَدِّعُـهُ[٨]

١٧- وَكَـمْ تَـشَفَّعَ بِـيْ أَلَّـا أُفَارِقَـهُ
وَلِلـضَّرُوْرَةِ حَـالٌ لا تُـشَفِّعُهُ[٩]

١٨- وَكَمْ تَشَبَّثَ بِيْ يَوْمَ الرَّحِيْلِ ضُحَىً
وَأَدْمُعِـي مُـسْتَهِلَّاتٌ وَأَدْمُعُـهُ[١٠]

١٩- لا أَكْـذِبُ اللهَ ثَـوْبُ الـصَّبْرِ مُنْخَـرِقٌ
عَنِّـي بِفُرْقَتِـهِ لَكِـنْ أُرَقِّعُـهُ[١١]

٢٠- إِنِّـي أُوَسِّـعُ عُـذْرِي فِـي جِنَايَتِـهِ
بِـالْبَيْنِ عَنِّـي وَجُرْمِـي لا يُوَسِّـعُهُ[١٢]

٢١- رُزِقْـتُ مُلْكـاً فَلَـمْ أُحْـسِنْ سِيَاسَـتَهُ
وَكُـلُّ مَـنْ لا يَـسُوْسُ الْمُلْـكَ يُخْلَعُـهُ[١٣]

٢٢- وَمَـنْ غَـدَا لابِـساً ثَـوْبَ النَّعِـيْمِ بِـلا
شُـكْرٍ عَلَيْـهِ فَـإِنَّ اللهَ يَنْزِعُـهُ[١٤]

أنوار الرّبيع: «تأبى المطامع»، وفي الوافي: «إذا الزّمـاع أراه.. الـسّند.. وهـو مربعه»، وفي نفح الأزهار: «..إلا أن تكلفه للرزق سعياً ولكن ليس يجمعه».

(١) جاء ترتيب الأبيات في ثمرات الأوراق، وطبقات الشّافعية، وأنـوار الرّبيـع كالتّالي «٨- ٩- ٧»، في مصارع العشاق: «في حلٍّ.. بقضاء الله..»، وفي نفـح الأزهار: «في حلٍّ.. بفضاء الله..»، يذرعه: تحريـك الـذّراعين فـي المـشي، اللّسان، مادة «ذرع»، وفي ذلك إشارة إلى شدّة المعاناة في السّفر، فالـشّاعر يسافر راجلاً، وليس راكبـاً ولعلّـه قـصد بقولـه يذرعـه، أي: إنّـه يقـيس المسافات بذراعه.

(٢) في الوافي: «إذا الزّمان.. وهو مربعه»، وفي الغيث المسجم: «وهـو مربعـه»، وفي أنوار الرّبيع: «وهو مزمعـه»، وفـي نفـح الأزهـار: «إذا الزّمـان.. وهـو يقطعه»، وفي الكشكول: «إنّ الزّمان.. ولو إلى السّدّ..»، الزِّماع: المـضاء فـي الأمر، والعزم عليه، اللّسان، مادة «زمع».

(٣) في أنوار الرّبيع: «الإنسان توصله»، في الغيث المسجم: «موصلة».

(٤) في ثمرات الأوراق: «واللهُ قسّم بين النّاس.. مخلوقاً يضيعه»، فـي الـوافي، والغيث المسجم: «بين النّاس»، وفي طبقات الشّافعية، وأنـوار الرّبيـع: «والله قسّم.. مخلوقاً»، في نفح الأزهار: «قد قسم الله بين النّاس.. لا يخلق».

(٥) في ثمرات الأوراق، وطبقات الشّافعية، وأنوار الرّبيع: «لكنهم ملئوا..»، وفي الوافي، والغيث المسجم: «كلّفوا رزقاً..»، وفي نفح الأزهار: «يقنعه».

(٦) في مصارع العشاق، وثمرات الأوراق: «والحرص في المرء»، وفـي أنـوار الرّبيع: «والسّعي في الرّزق».

(٧) في ثمرات الأوراق: «الفتى ما ليس يطلبه حقاً»، وفـي طبقـات الـشّافعية، وأنوار الرّبيع: «ما ليس يطلبه يوماً»، وفي طبقات الـشّافعية: «ويطعمـه مـن حيث يمنعه»، وفي الوافي، والغيث: «أرباً ويمنعه»، وفي نفح الأزهار: «عفواً ويمنعه».

(٨) في يتيمة الدّهر، والمنازل والدّيار: «أن يودعني.. روح الحياة»، وفي اليتيمة: «تودعني»، وفي الوافي، وطبقات الـشّافعية: «أن يـودعني»، وفـي ثمـرات الأوراق: «طيب الحياة»، وفي السّحر والشّعر: «لو يعاجلني وَشكُ الحمَام..».

(٩) في مصارع العشاق، وطبقات الـشّافعية، وأنـوار الرّبيـع، ونفـح الأزهـار: «وللضرورات»، وفي المنازل والدّيار، وثمرات الأوراق، والكشكول: «وكـم قد تشفَّع»، وفي اليتيمة، والوافي: «في أن لا أفارقه»، وفي الإكمـال: «وكـم تشفَّع لي»، وفي السّحر والشّعر: «وكم توسّل لي.. حكـمٌ لا يـشَفّعُهُ»، وفـي العود الهندي: «وللضرورات حال ما يشفعه».

(١٠) في الكشكول: «وقد تشبَّث»، وفي الـسّحر والـشّعر: «وكـمْ تعَلَّـق بـي.. مُسبلات»، وفي الوافي: «وكم تشبّث في خوف الفراق ضحىً».

(١١) في المنازل والدّيار: «لفرقته»، وفي ثمرات الأوراق، والـوافي، وطبقـات الشّافعية، وأنوار الرّبيع، ونفح الأزهار: «ثوب العذر»، وفي ثمـرات الأوراق: «لكني أرقعه».

(١٢) في ثمرات الأوراق، وأنوار الرّبيع، ونفح الأزهار: «بـالبين عنـه وقلبـي»، وفي أنوار الرّبيع: «في خيانته»، وفي طبقات الشّافعية: «وقلبي لا».

(١٣) في مصارع العشاق، وثمرات الأوراق، وطبقات الشّافعية، وأنـوار الرّبيـع، ونفح الأزهار: «أعطيت ملكاً».

(١٤) في أنوار الرّبيع: «شكر الإله فعنه الله»، وفي مـصارع العـشاق، وطبقـات الشّافعية، ونفح الأزهار: «فعنه الله».

٢٣- اعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خِلِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
كَأساً أُجَرَّعُ مِنْهُ مَا أجرَّعُهُ[١]

٢٤- كَمْ قَائِلٍ لِيَ: ذُقْتَ البَيْنَ، قُلْتُ لَهُ:
الذَّنْبُ - واللهِ - ذَنْبِيْ لَسْتُ أدْفَعُهُ[٢]

٢٥- ألا أَقَمْتُ فَكَانَ الرُّشْدُ اجْمَعُهُ
لَوْ أنَّنِي يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ أتْبَعُهُ[٣]

٢٦- لَوْ أنَّنِيْ لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ
فِيْ سَفْرَتِي هَذِهِ إلَّا وَأَقْطَعُهُ[٤]

٢٧- إنِّي لأَقْطَعُ أيَّامِي وَأُنْفِدُهَا
بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقَطِّعُهُ[٥]

٢٨- بِمَنْ إذَا هَجَعَ النُّوَّامُ بِتُّ لَهُ
بِلَوْعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أهْجَعُهُ[٦]

٢٩- لا يَطْمَئِنُّ لِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا
لا يَطْمَئِنُّ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ[٧]

٣٠- مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي
بِهِ ولا أنَّ بِيَ الأيَّامُ تَفْجَعُهُ[٨]

٣١- حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدٍ
عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَقِّي وَتَمْنَعُهُ[٩]

٣٢- قَدْ كُنْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي جَازِعاً فَزِعاً
فَلَمْ أُوْقَ الَّذي قَدْ كُنْتُ أجْزَعُهُ[١٠]

(١) في أنوار الرّبيع: «عن وجه»، وفي مصارع العشاق، والوافي، وطبقات الشّافعية: «تَجَرَّعَ منها»، وفي نفح الأزهار: «يُجَرَّعُ منها».
(٢) في ثمرات الأوراق، وأنوار الرّبيع: «ذنب البين»، وفي طبقات الشّافعية: «لست أرْقَعُهُ».
(٣) في أنوار الرّبيع، ونفح الأزهار: «هلاّ أقمت»، وفي نفح الأزهار: «حين بان».
(٤) تفرّد كلٌّ من صاحب مصارع العشاق، ونفح الأزهار برواية هذا البيت.
(٥) في طبقات الشّافعية: «وأنفذها»، وفي نفح الأزهار: «يا من أقطّع.. حزناً عليه وليلي».
(٦) في طبقات الشّافعية: «أبْتُ له».
(٧) في طبقات الشّافعية: «بجنبي» وفي نفح الأزهار: «بجنبي... به مذ» وفي العود الهندي: «بجنبي... به مذ غبت».
(٨) في ثمرات الأوراق، والوافي، وطبقات الشّافعية: «ريب الدّهر».
(٩) في ثمرات الأوراق، والوافي، وطبقات الشّافعية: «تمنعني حظّي» وفي نفح الأزهار: «جرى الدّهر».
(١٠) في ثمرات الأوراق: «ولو كنت» وفي الوافي، ونفح الأزهار: «فكنت من... جازعاً فَرِقَاً».

٣٣- بِاللهِ يَا مَنْزِلَ العَيْشِ الَّذِي دَرَسَتْ
آثَارُهُ وَعَفَتْ مُذْ بِنْتُ أَرْبُعُهُ[١١]

٣٤- هَلِ الزَّمَانُ مُعِيْدٌ فِيْكَ لَذَّتَنَا؟
أمِ اللَّيَالِي الَّتِي أمْضَتْهُ تُرْجِعُهُ[١٢]

٣٥- فِيْ ذِمَّةِ اللهِ مَنْ أصْبَحْتَ مَنْزِلَهُ
وَجَادَ غَيْثٌ عَلَى مَغْنَاكَ يُمْرِعُهُ[١٣]

٣٦- مَنْ عِنْدَهُ لِيَ عَهْدٌ لا يُضَيِّعُهُ
كَمَا لَهُ عَهْدُ صِدْقٍ لا أُضَيِّعُهُ[١٤]

٣٧- ومَنْ يُصَدِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا
جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ[١٥]

٣٨- لأَصْبِرَنَّ لِدَهْرٍ لا يُمَتِّعُنِي
بِهِ وَلا بِيَ فِي حَالٍ يُمَتِّعُهُ[١٦]

٣٩- عِلْماً بِأنَّ اصْطِبَارِيْ مُعْقِبٌ فَرَجاً
فَاضْيَقُ الضِّيْقِ إنْ فَكَّرْتُ أوْسِعُهُ[١٧]

٤٠- عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي أضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا
جِسْمِي سَتَجْمَعُنِيْ يَوْماً وَتَجْمَعُهُ[١٨]

٤١- وَإِنْ تَنَلْ أحَداً مِنَّا مَنِيَّتُهُ
فَمَا الَّذِي بِقَضَاءِ اللهِ يَصْنَعُهُ[١٩]

(١١) في المنازل والدّيار: «يا منزل اللّهو... آياته وعفت»، وفي ثمرات الأوراق: «يا منزل الأنس» وفي الوافي، وأنوار الرّبيع: «يا منزل القصف» وفي طبقات الشّافعية، ونفح الأزهار: «يا منزل القصر»، ،في أنوار الرّبيع: «مذ غبت».
(١٢) ثمرات الأوراق، وطبقات الشّافعية: «الّتي أمضت تُرَجِّعُهُ»، وفي الكشكول: «فيك عيشتنا... الّذي أمضته».
(١٣) في المنازل والدّيار: «غيثٌ على مرباك مُمْرِعُهُ»، وفي الوافي بالوفيات: «غيثاً على يمناك».
(١٤) في ثمرات الأورق: «لا يضيع كما عندي له عهد ودٍّ»، وفي المنازل والدّيار: «لم يُضعْهُ كما عندي له عهدُ».
(١٥) في العود الهندي: «يقطّع... يقطعه».
(١٦) في طبقات الشّافعية: «به كما أنّه بي لا يمتعه».
(١٧) في الكشكول: «فأضيق الضّيق»، وفي أنوار الرّبيع، ونفح الأزهار: «وأضيق».
(١٨) في الوافي: «ستجمعنا»، وفي طبقات الشّافعية: «تُجَمِّعني يوماً»، وفي أنوار الرّبيع، ونفح الأزهار: «علَّ اللّيالي».
(١٩) في ثمرات الأوراق: «بقضاء الله يمنعه»، وفي طبقات الشّافعية: «وإن ينلْ أحدٌ منّا منيَّتَهُ... في قضاء»، وفي الوافي: «وإن تغل... وفي قضاء الله»، وفي نفح الأزهار:
«وإن تَغُلْ أحداً منَّا منيته لابدَّ في غده الثّاني سيتبعه».

«٢/٢»

قال يرثي ديكاً:[1] [الكامل]

١- خَطْبٌ طُرِقْتُ بِهِ أَمَرَّ طُرُوْقِ
فَظُّ الحُلُوْلِ عَلَيَّ غَيْرُ شَفِيْقِ[2]

٢- فَكَأَنَّمَا نُوَبُ الزَّمَانِ مُحِيْطَةٌ
بِي رَاصِدَاتٌ لِيْ بِكُلِّ طَرِيْقِ[3]

٣- هَلْ مُسْتَجَارٌ مِن فَظَاظَةِ جَوْرِهَا
أمْ هَلْ أَسِيْرُ صُرُوْفِهَا بِطَلِيْقِ[4]

٤- حَتَّى مَتَى تِجْنِي عَلَيَّ بِخَطْبِهَا
وَتَغُصُّنِي فَجَعَاتُهَا بِالرِّيْقِ[5]

٥- ذَهَبَتْ بِكُلِّ مُوَافِقٍ وَمُرَافِقٍ
وَمُنَاسِبٍ وَمُصَاحِبٍ وَصَدِيْقِ

٦- وَطَرِيْفَةٍ وَتَلِيْدَةٍ وَحَبِيْرَةٍ
ضُنَّتْ وَرُكْنٍ لِلزَّمَانِ وَثِيْقِ[6]

٧- حَتَّى بِدِيكٍ كُنْتُ آلَفُ قُرْبَهُ
حُلْوِ الشَّمَائِلِ فِي الدِّيُوْكِ رَشِيْقِ[7]

٨- أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْهُ كَلاكِلاً
يُقْنِي الوَرَى وَيُشِتُّ كُلَّ فَرِيْقِ[8]

٩- وَرَمَاهُ مِنْهُ بِحَدِّ سَهْمٍ صَائِبٍ
لِذَخَائِرِ الْمُسْتَظْهِرِيْنَ عَلُوْقِ

---

(١) المخطوطة: برلين ٦٢٠١ «الورقة ٥٣أ- ٥٤ب» نسخت في سنة ١٠١٨هـ نقلاً عن تاريخ التّراث العربي، مج٢، ج٥، ص٨٠، وتوجد صورة لهذه المخطوطة في مجلة العربي، العدد ٥٢٣، يونيو ٢٠٠٢م، ص١٧١- ١٧٢، الأبيات ١- ٢١ ما عدا «٣٠».

١- ٤١ ما عدا البيت «٣٠» في الوافي بالوفيات ٧٨/٢١- ٨٠ منسوبة إلى ابن زريق البغدادي.

١٤، ١٥، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦ في مباهج الفكر للوطواط ٩٦/١- ٩٧، منسوبة إلى أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين.

١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ١٦، ١٧، ١٩ في نهاية الأرب ١٤٠/١٠- ١٤١، وجاء ترتيب الأبيات موافقاً لما ذكرت، وكذلك أثبت النويري الأبيات ٢٩، ٣١، ٣٢ في موطن آخر ١٣٨/١٠، بيد أنّه نسب الأبيات كلّها إلى أبي الفرج الأصفهاني.

٢٩، ٣٢، ٣٠، ٣١ في مطالع البدور ومنازل السّرور، للشّيخ الغزولي «ت/٨١٥هـ» مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بورسعيد- مصر، ١٤١٩هـ- ٢٠٠م، ص٣٧٣ منسوبة إلى أبي الفرج في وصف بيضة.

٢٩، ٣٢ في حياة الحيوان الكبرى، للدميري ت/٨٠٨هـ دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ٢٦٧/٢ منسوبات إلى أبي الفرج أيضاً.

من الواضح أنّ هذه القصيدة متنازعة النّسبة بين ابن زريق البغدادي، وأبي الفرج الأصفهاني ت/٣٦٥هـ فقد تفرّد الصّفدي ت ٧٦٤هـ في نسبتها إلى ابن زريق، على حين نسبها كلٌّ من الوطواط ت/٧١٨هـ والنّويري ت/٧٣٣هـ والدميري ت/٨٠٨هـ والبهائي ت/٨١٥هـ إلى أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، وتبعهم في ذلك من المحدثين الأستاذ فاروق شوشة من دون أن يحيل إلى المصدر الّذي استند إليه في تحديد نسبة القصيدة، إذ قال: «أمّا القائل فأبو الفرج الأصفهاني، وهو أشهر من أن يعرّف...»، «جمال العربية- وقال في رثاء ديك» مجلة العربي، العدد ٥١٥، أكتوبر ٢٠٠١م، ص١٧٠، بيد أنّي ابتعد كلّ البعد عمّا ذهب إليه الأستاذ شوشة، فهذه القصيدة لا يمكن أن تكون بحالٍ من الأحوال لأبي الفرج الأصفهاني، وذلك بعدّة أسباب:

أولاً: نُسِبَتْ القصيدة في مخطوطة برلين المصورة إلى ابن زريق، جاء في مطلعها: «وقال ابن زريق الكاتب يرثي ديكاً له: فقال: خطبٌ طرقت به أمرّ طروق...».

ثانياً: نسب الصّفدي القصيدة إلى ابن زريق، وقد رواها كاملةً، وهذا يدلُّ على أنّه على علم بنسبة الأبيات أكثر ممّن روى بعض أبياتها.

ثالثاً: إنّ أبا الفرج الأصفهاني على شهرة واسعة عند القدماء والمحدثين، فلو كانت الأبيات له لأشار إليها أحدٌ منَ القدماء، أو لأشار إليها هو نفسه في أحد مصنّفاته الّتي ضمّنها الكثير من شعره، وأمّا أنّه لَم يُشرْ إلا بعد ردح من الزّمن، وكان أوّل من نسبها -في ضوء ما وصل إلينا من مصادر- إلى أبي الفرج الأصفهاني الوطواط محمّد بن إبراهيم الأنصاري ت/٧١٨هـ فهذا يرجّح كون الأبيات لابن زريق المغمور أصلاً.

رابعاً: إنّ أبا الفرج الأصفهاني على ما أوتي من علمٍ ودراية لا يحسن نظم مثل هذه القصيدة، لأنّه ليس من أهل صناعة الشّعر، وهذا ما أحسّ به الأستاذ فاروق شوشة الّذي قال: «لكن الغريب في أبي الفرج الأصفهاني -وهو الّذي وصف شعرَهُ الثّعالبيُّ في كتابه يتيمة الدّهر، بأنّه شعرٌ يجمع إتقان العلماء- لم يكن في هذه القصيدة، وهو يرثي ديكه محقّقاً لصدق هذه المقولة، بل ...

لعلّه تجاوزها إلى حيث تنطلق الشّاعريّة المتحررة من القيود...»، وقال أيضاً: «القصيدة لا تحوي عاطفة باردة أوساكنة، بل تنبض بعاطفة حارّة جيّاشة، وشعور عميق بالفقد، يستوجب الحسرةَ والألم والبكاء»، «جمالُ العربيّةً» مجلة العربي، العدد ٥١٥، ص١٧٠، وهذا يؤكّد أيضاً أنّ القصيدة لابن زريق الّذي ذاع صيته بفضل هذه العاطفة الجيّاشة، وتلك المشاعر الصّادقة النّابعة من صميم قلب مكلوم اكتوى بنيران اللّوعة والفقد تجلّت في أبهى صورها ومظاهرها في عينيته الفريدة.

(٢) الطَّرق: الدّقُّ، وسمِّي الآتي باللّيل طارقاً لحاجته إلى دقّ الباب، وطَرَق القوم طرْقاً وطُرُوقاً جاءهم ليلاً، وفي الحديث: «أعوذ بك من طوارق اللّيل إلا طارقاً يطرق بخير»، اللّسان، مادة «طرق».

(٣) نُوَب: جمع نائبة، وهي المصيبة، اللّسان، مادة «نوب».

(٤) في الوافي: «صلوفها»، صروف الدّهر: حدثانه ونوائبه، اللّسان، مادة «صرف».

(٥) في الوافي: «تنحى عليّ».

(٦) الحبيرة: تصغير حَبْرة، وهي: كلّ نعمة حسنة، وقيل: هي المبالغة لكلّ ما وصف بجميل، اللّسان، «حبر».

(٧) في مخطوطة برلين: «حلو الشّمايل».

(٨) في الوافي: «كلكلا»، كلاكل: مفرده كلكل: وهو الصّدر من كلّ شي، اللّسان، مادة «كلل».

١٠- حُزْنِـي عَلَيْـهِ دَائِمـاً مَـا غَـرَّدَتْ
وُرْقُ الحَمَـامِ ضُـحَىً بِـذَرْوَةِ نِيْـقِ[١]

١١- أَرَبِيْـبَ مَنْزِلنَـا وَنَـشْوَ حُجُوْرِنَـا
وَغَـذِيَّ أَيْـدِيْنَا نِـدَاء مَـشُوقِ[٢]

١٢- لَهْفِـي عَلَيْـكَ أَبَـا النَّـذِيْرِ لَـوْ أَنَّـهُ
دَفَـعَ الْمَنَايَـا عَنْـكَ لَهْـفُ مَـشُوْقِ[٣]

١٣- وَعَلَـى شَـمَائِلِكَ اللَّـوَاتِي مَـا نَمَـتْ
حَتَّـى ذَوَتْ مِـنْ بَعْـدِ حُـسْنِ سُـمُوقِ[٤]

١٤- لَمَّـا نَفَعْـتَ وصِـرْتَ عِلْـقَ مَـضِنَّةٍ
وَنَـشأتَ نَـشْءَ الْمُقْبِـلِ الْمَوْمُـوقِ[٥]

١٥- وَتَكَامَلَـتْ جُمَـلُ الجَمَـالِ بِأَسْـرِهَا
لَـكَ مِـنْ خَلِيْـلٍ صَـادِقٍ وَصَـدِيْقِ[٦]

١٦- وَغَـدَوْتَ مُلْتَحِفـاً بِمِـرْطٍ حَبَّـرَتْ
فِيْـهِ بَـدِيْعَ الوَشْـيِ كَـفُّ أَنِيـقِ[٧]

١٧- كالْجُلَّنَـارَةِ أَوْ صَـفَاءِ عَقِيْقَـةٍ
أَوْ لَمْـعِ نَـارٍ أَوْ وَمِـيْضِ بُـرُوْقِ[٨]

١٨- أَوْ قَهْـوَةٍ تَخْتَـالُ فِـيْ بلَّـوْرَةٍ
بِتَـأَنُّقِ التَّزْوِيْـقِ والتَّـصْفِيْقِ

١٩- وَكَأَنَّمَـا الجَـادِيُّ جَـادَ بِـصِبْغَةٍ
لَـكَ أَوْ طَلَعْـتَ مُـضَمَّخاً بِخَلُـوْقِ[٩]

(١) في مخطوطة برلين: «دايماً»، النّيق: أرفع موضع في الجبل، وقيل: الطّويل من الجبال، اللّسان، مادة «نيق».
(٢) في نهاية الأرب: «أبنيَّ منزلنا ونشو محلنا...».
(٣) كأنّه كنّى عنه بأبي النّذير لأنّه كان ينذره على الدّوام.
(٤) في مخطوطة برلين: «شمايلك»، سمق سموقاً: علا وطال، اللّسان، «سمق».
(٥) في مخطوطة برلين: «المقيّد الموثوق»، في مباهج الفكر: «لَمّا بقعت.. نشو المقبل»، علْقُ مَضَنَّة: ويجوز كسر الضّاد، أي: شيءٌ نَفيسٌ يَضَنُّ به ويُنَافَسُ، تاج العروس ٣٤٠/٣٥.
(٦) في مباهج الفكر: «حلل الجمال... من جليلٍ خالصٍ وديبق» في نهاية الأرب: «من جليلٍ خالصٍ ودقيق».
(٧) في نهاية الأرب: «وخطرت ملتحفاً».
(٨) في نهاية الأرب: «ضياء عقيقة».
(٩) في الوافي: «جاد بصيغة»، وفي نهاية الأرب: «غدوت مضمّخاً»، الخلوق: طيب يتخذ من الزّعفرانً وغيره من أنواع الطّيب، اللّسان، مادة «خلق».

٢٠- وَلَبِسْتَ كَالطَّاوُوْسِ رِيْشاً لامِعـاً
مُتَلألِئـاً ذَا رَوْنَـقٍ وَبَرِيْـقِ[١٠]

٢١- مِـنْ حُمْـرَةٍ مَـعْ صُـفْرَةٍ فِـي زُرْقَـةٍ
تَخْفَـى بِحُلَّتِهَـا عَلَـى التَّحْقِيْـقِ[١١]

٢٢- عَرْضٌ يَجِـلُّ عَـنِ القِيَـاسِ وَجَـوْهَرٌ
لَطُفَـتْ مَعَانِيْـهِ عَلَـى التَّـدْقِيْقِ[١٢]

٢٣- وَكَـأَنَّ سِـالِفَتَيْهِ تِبْـرٌ سَـائِلٌ
وَعَلَـى الْمَفَـارِقِ مِنْـهُ تَـاجُ عَقِيْـقِ[١٣]

٢٤- وَكَأَنَّ مَجْرَى الصَّوْتِ مِنْكَ إذا جَفَت
وَنَبَـتْ عَـنْ الأسْـمَاعِ بَـحُّ حُلُـوْقِ[١٤]

٢٥- نَـايٌ رَقِيْـقٌ نَـاعِمٌ قَـرَّتْ بِـهِ
نَغَـمٌ تؤلِّفُـهُ مِـنَ الْمُوْسِـيْقِي[١٥]

٢٦- تَزْقُـو وَتَـصْفُقُ بالجَنَـاحِ كَمُنْـتَشٍ
وَصَـلَتْ يَـدَاه النَّقْـرَ بالتَّـصْفِيْقِ[١٦]

٢٧- وَتَمِـيْسُ مُمْتَطِيـاً لِـسَبْعِ دَجَـائِجٍ
مِثْـلِ [الْمَهَـارَى] أُحْـدِقَتْ بِفَـسِيْقِ[١٧]

٢٨- فَتُمِيْرُنَـا مِـنْهُنَّ بِيْـضاً دَائِمـاً
رِزْقـاً هَنِيْئـاً لَـيْسَ بِـالْمَمْحُوْقِ[١٨]

٢٩- فِيْهَـا بَـدَائِعُ صَـنْعَةٍ وَلَطَـائِفٌ
أُلِّفْـنَ بِالتَّهْـذِيْبِ والتَّوْفِيْـقِ[١٩]

(١٠) في مباهج الفكر: «وشياً لامعاً»، وفي نهاية الأرب: «وكسيت كالطّاووس».
(١١) في الوافي: «تحتلّها تخفى»، في مباهج الفكر: «تخييلها يخفى»، في نهاية الأرب: «من صفرة مع خضرة في حمرة تخييلها يخفى...».
(١٢) في مباهج الفكرً، ونهاية الأرب: «عنً التّدقيق».
(١٣) في مباهج الفكر، ونهاية الأرب: «وكأن سالفتيك»، وفي الوافي: «منك تاج».
(١٤) في نهاية الأرب: «إذا نبت وجفت».
(١٥) في نهاية الأرب: ناعمٌ قرنت به نغمٌ مؤلّفةٌ، في الوافي: «نعم تؤلفه».
(١٦) في مباهج الفكر، ونهاية الأرب: «الصّوت بالتّصفيق»، تزقو: تصيح، اللّسان: مادة «زقو».
(١٧) أظنُّ أنّ الكلمة «عذارى»، إذ بها يستقيم المعنى والوزن، أمّا المهارى: مفرده مهريَّة، وهي الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، أو قبيلة، وهم حيّ عظيم، وأمهر النّاقة جعلها مهرية، والمهرية: ضرب من الحنطة، اللّسان: مادة «مهر».
(١٨) في مخطوطة برلين: «دايماً».
(١٩) في حياة الحيوان الكبرى: «ألفن بالتّقدير والتّعليق»، في نهاية الأرب، ومطالع البدور: «ألّفن بالتّقدير والتّلفيق».

٣٠- صُـنَعٌ تَـدُلُّ عَلَـى حَقِيْقَـةِ صَـانِعٍ
لِلْخَلْـقِ طُـرّاً لَـيْسَ بِـالْمَخْلُوْقِ[١]

٣١- فَبَيَاضُـهَا وَرَقٌ وَتِبْـرٌ مُحُّهَـا
فِـيْ جَـوْفِ عَـاجٍ بُطِّنَـتْ بِـدَبِيْقِ[٢]

٣٢- خِلْطَـانِ مَائِيَّـانِ مَـا اخْتَلَطَـا عَلَـى
سَـيْلٍ وَمُخْـتَلِطِ المِـزَاجِ رَقِيْـقِ[٣]

٣٣- يَغْـدُوْ عَلَيْـهِ مَـنْ طَهَـاهُ بِعُجَّـةٍ
وَيَـرُوحُ بِالْمَـشْوِيِّ وَالْمَـصْلُوْقِ

٣٤- نِعَـمٌ لَعَمْـرُكَ لَـوْ تَـدُوْمُ هَنِيْئَـةٌ
هَـلْ دَامَ رِزْقٌ لا مْـرِئٍ مَـرْزُوْقِ

٣٥- أَبْكِـي إِذَا عَايَنْـتُ رَبْعَـكَ مُقْفِـراً
بَتَحَـنُّنٍ وَتَفَجُّـعٍ وَشَـهِيْقِ

٣٦- وَيَزِيْـدُنِيْ جَزَعـاً لِفَقْـدِكَ صَـادِحٌ
فِـيْ مَنْـزِلٍ دَانٍ إِلَـيَّ لَـصِيْقِ

٣٧- فَتَأَسُّـفِي أَبَـداً عَلَيْـكَ مُوَاصَـلٌ
بِـسَوَادِ لَيْـلٍ وَالْتِمَـاعِ بُـرُوْقِ

٣٨- وَإِذَا أَفَـاقَ ذَوُو الْمَـصَائِبِ سُـلْوَةً
وَتَأَسِّـياً أَمْـسَيْتُ غَيْـرَ مُفِيْـقِ

٣٩- صَـبْراً لِفَقْـدِكَ لا قِلـىً لَكِـنْ كَمَـا
صَـبَرَ الأَسِـيْرُ لِـشِدَّةٍ وَلِـضِيْقِ

٤٠- لا تَبْعُـدَنَّ وَإِنْ نَـأَتْ بِـكَ نِيَّـةٌ
فِـيْ مَنْـزِلٍ نَـائِي الْمَـزَارِ سَـحِيْقِ

٤١- وَسَقَى عِظَامَكَ صَوْبُ مُـزْنٍ هَاطِلٍ
غَـدَقٍ رَعُـوْدٍ فِـي ثَـرَاكَ بَـرُوْقِ

(١) تفرد الغزولي صاحب مطالع البدور برواية هذا البيت.

(٢) في نهاية الأرب: «وزئبق محّها»، في نهاية الأرب، ومطالع البدر: «مخها... في حُقّ عاج»، الدبيقي: من دق الثِّياب، وكانت العمامَةُ منها طُولُها مئةُ ذراعٍ، وفيها رَقَماتٌ مَنْسُوجَةٌ بالذّهَب تَبْلُغُ العمامَةُ من الذّهَب خَمْسَمائة دينارٍ سوى الحَرير والغَزْل، تاج العروس ٢٧٦/٢٥.

(٣) في حياة الحيوان: «شكل ومختلف المزاج»، في نهاية الأرب: «على شكر ومختلف»، وفي مطالع البدور: «خلطان ماويان... شكل ومختلف المزاج»، وَمِزَاج الشّرب: ما يمزج به، اللّسان، مادة «مزج».

ثانياً: مَا رَجُحَت نسَبتُهُ إلى غَيرِ ابنِ زُرَيقٍ:

«٣/١»

نقل السُّبكي عن ابن زريق قوله: «حضرت مجلس القُتَبي[٤] صاحب بيت حكمة المأمون، وعنده فتيان أربعة قد نظروا في الأخبار، ورووا الأشعار، وتأدبوا بفنون الآداب، وكلّ فتىً منهم ينتمي إلى جنس، ويقول بتفضيله، فقال القتبي وقد طال بهم المراء: ليقل كلُّ واحد منكم في مجلسه بيتي شعر في فضل قومه»، ولَمَّا أنشد كلٌّ منهم بيتين مفتخراً ببني جلدته[٥]: قال ابن زريق: فعجبت من افتخار التّركي عليهم، قلت لو أنّ العربي قال:[٦] [البسيط]

١- فِيْنَـا الـشَّجَاعَةُ طَبْـعٌ والـسَّخَاءُ كَمَـا
فِيْنَـا الـدَّهَاءُ وفِيْنَـا الظُّـرْفُ وَالأَدَبُ

٢- وأَحْمَدُ الْمُـصْطَفَى الهَـادِي النَّبِـيُّ وَذَا
هُـوَ الفَخَـارُ الَّـذِيْ سَـادَتْ بِـهِ العَـرَبُ

أو لو قال: [البسيط]

١- مَا الفُرْسُ مَا الرُّوْمُ مَا الأَتْـرَاكُ نَحْـنُ
عَـدْنَانُ، فِيْنَـا الحِجَـا والجُـوْدُ وَالأَدَبُ

٢- هَـذَا وإِنَّ لنـا بالْمُـصْطَفَى حَـسَباً
بِـهِ عَلَـى كُـلِّ نَـدْبٍ سَـادَتِ العَـرَبُ

لكان أفحم الكلَّ، وافتخرَ عليهم.

(٤) أشرت سابقاً أنّ القتبي رجلٌ مجهول الهوية، فإذا ما كان صاحب بيت الحكمة في زمن الخليفة المأمون، فهذا يعني أنّ الأبيات ليست لابن زريق لأنّه من غير الممكن أن يجتمع الرّجلان في الفترة نفسها.

(٥) فقال المنتمي إلى الفرس:

١- نَحْنُ الْمُلُوْكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوْكِ لَنَـا — عِلْمُ السِّيَاسَةِ وَالتَّـدْبِيرِ وَالْكُتُـبِ
٢- وَنَحْنُ مِنْ نَسْلِ إِسْحَاقَ الذَّبِيْحِ وفي — مَجْدِ النَّبِيِّيْنَ ظِلُّ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ

وقال المنتمي إلى العرب:

١- فينَا الشَّجَاعَةُ طَبْعٌ وَالسَّخَاءُ كَمَا — فِيْنَا الدَّهَاءُ، وَفِيْنَا الظَّرْفُ وَالأَدَبُ
٢- وَنَحْنُ مِنْ نَسْلِ إِسْمَاعِيْلَ قَاطِبَةً — لا يُنْكِرُ النَّاسُ قَوْلِي حِيْنَ أَنْتَسِبُ

وقال المنتمي إلى الرّوم:

١- الرُّوْمُ قَوْمٌ لَهُمْ حِلْـمٌ وَتَجْرُبَـةٌ — وَحُسْنُ خُلُقٍ وَعِلْمٌ بَارِعٌ عَجَـبُ
٢- وَهُمْ بَنُو العِيْصِ وَالأَمْلاكُ لا كَـذِبٌ — وَلُبْسُهُمْ شُفَقُ الدِّيْبَاجِ والـذَّهَبُ

وقال المنتمي إلى التّرك:

١- التُّرْكُ لَمْ يُمْلَكُوا فِيْ دَارِ مُلْكِهِمُ — وَالْفُرْسُ قَدْ مُلِكُوْا وَالرُّوْمُ وَالْعَرَبُ
٢- هَذَا لَعَمْرُكَ فَضْلٌ لَيْسَ يَجْحَدُهُ — إلا حَسُوْدٌ عَنِيْـدٌ مَـال لَـهُ أَدَبُ

(٦) ١-٢ في طبقات الشّافعية: تاج الدّين السّبكي ٣١٢/١- ٣١٣.

«٣/٢»

وقال أيضاً:[١] [الكامل]

١- مَـــال الـــرَّأيُ عِنْـــدَكَ أيُّهَـــا البَـــدْرُ
فِـــيْ عَاشِـــقٍ قَـــدْ خَانَـــهُ الـــصَّبْرُ[٢]

٢- وَقِّـــعْ بِرأيِـــكَ فَـــوْقَ قِـــصَّتِهِ
يَـــا مَـــنْ إِلَيْـــهِ النَّهْـــيُ والأَمْـــرُ

«٣/٣»

وقال:[٣] [الطّويل]

وَلِـــيْ صَـــاحِبٌ أَفْـــسَى البَرِيَّـــةِ كُلِّهَـــا
يُـــشَكِّكُنِيْ فِيْـــهِ إِذَا مَـــا تَنَفَّـــسَا[٤]
تَحَوَّلَـــتِ الأَنْفَـــاسُ مِنْـــهُ إِلَـــى اسْـــتِهِ
فَمَـــا أَحَـــدٌ يَـــدْرِيْ تَـــنَفَّسَ أَمْ فَـــسَا

(١) ١-٢ في السّحر والشّعر ص١٩٠ منسوبان إلى ابن زريق، وفي يتيمة الدّهر ٤٣٩/٢، منسوبان إلى أبي عبد الله الحامدي، والرّاجح عندي أنّ البيتين لأبي عبد الله الحامدي، وذلك لسببين اثنين، أمّا السّبب الأوّل: عدم تثبُّت لسان الدّين بن الخطيب ت/٧٧٦هـ من نسبة البيتين، إذ إنّه نسبهما في موطن آخر من كتابه السّحر والشّعر ص٢٣١ إلى أبي عبد الله الحامدي، وأمّا السّبب الثّاني: فهو ما وراه الثّعالبي ت/٢٤٩هـ في أثناء ترجمته للحامدي، فقد قال: «... لم يبلغني ذكر هذا الرَّجل إلا ممَّا أنشدنيه ميمون الواسطي، قال: أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة»، البيتين وأضاف عليهما بيتاً ثالثاً ألا وهو:

لَـــوْ أنَّ حُـــسْناً زَادَ فِـــي عُمْـــرٍ ... لازْدَدْتَ عُمْـــراً بَعْـــدَهُ عُمُـــرُ

وفي هذه الرّواية -إذا صحّت- دليلٌ صريحٌ على نسبة الأبيات إلى الحامدي.

(٢) في يتيمة الدّهر: «لك خانه».

(٣) ١- ٢ في معاهد التّنصيص ٢٣/٣ منسوبان إلى ابن زريق الكوفي، وفي يتيمة الدّهر ٤٤٥/٢ منسوبان إلى أبي الورد، وفي محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، للرّاغب الأصفهاني، تحقيق: د. عمر الطّباع، شركة دار الأرقم بن الأرقم -بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٣٠٣/٢ من دون نسبة.

وهنا أميل أيضاً إلى رأي الثّعالبي الّذي نسب البيتين إلى أبي الورد، وذلك لأنّ الثّعالبي هو الأقرب عهداً إلى الرّجلين المنسوب إليهما الشّعر، فقد كان أبو الورد من ندماء الوزير المهلبي، وكانت وفاة المهلبي سنة ٣٥٢هـ أي أنّ أبا الورد عاش في هذه الفترة، وهي أقرب إلى الثّعالبي من العباسي المتأخّر الّذي لم يُشر إلى المصادر الّتي اعتمدها في هذه النّسبة، ولعلّ ما يدعم نسبتهما إلى أبي الورد عبد الله أحمد بن المبارك بن الدّباس أيضاً ما عُرف عنه أنّه «كان شاعراً خليعاً ماجناً مطبوعاً» الوافي بالوفيات ٢٢/١٧، «وله شعر لهو في الإضحاك» يتيمة الدّهر ٤٤٤/٢، وهذا الوصف يتناسب مع موضوع البيتين متنازعي النّسبة.

(٤) ١-٣ في محاضرات الأدباء: «... فوه إذا...».

«٣/٤»

وقال:[٥] [الطّويل]

١- وَمَا سَرَّ قَلْبِي مُنْذُ شَـطَّتْ بِـكَ النَّـوَى
أَنِـــيْسٌ وَلا كَـــأسٌ وَلا مُتَـــصَرِّفُ[٦]

٢- وَمَـا ذُقْـتُ طَعْـمَ الْمَـاءِ إلا وَجَدْتُـهُ
كَـأنْ لَـيْسَ بالمـاءِ الَّـذي كُنْـتُ أعْـرِفُ[٧]

٣- وَلَـــمْ أشْـــهَدِ اللَّـــذَاتِ إلا تَكَلُّفـــاً
وَأيُّ سُـــرُوْرٍ يَقْتَـــضِيْهِ التَّكَلُّـــفُ[٨]

❖ ❖ ❖

(٥) في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٨٩/١٨ منسوبة إلى ابن زريق، وفي يتيمة الدّهر ١٢٧/٣ منسوبة إلى القاضي ابن معروف، وفي تاريخ مدينة دمشق ٨٠/٥٨ منسوبة إلى أبي الفتح الكاتب، وفي بغية الطّلب في تاريخ حلب ٢٥٣١/٦ منسوبة إلى أبي العشائر بن حمدان، وفي الوافي بالوفيات ٢٠٥/٧، وفوات الوفيات لمحمّد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤هـ تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت- لبنان، ١١٤/١ منسوبة إلى قاضي القضاة شمس الدّين أحمد بن محمّد بن خلّكان، يلاحظ ممّا سبق أنّ هذه الأبيات الثّلاثة متنازعة النّسبة بين خمسة شعراء، ولا يوجد ما يرجّح نسبة الأبيات إلى أحد منهم إلا ما رواه ابن العديم ت/٦٦٠هـ إذ قال: «قرأت في كتاب عنوان السَّير في محاسن أهل البدو والحضر، تأليف أبي الحسن محمّد بن عبد الملك الهمذاني: أبو العشائر بن حمدان القائل»، الأبيات بغية الطّلب ٢٥٣١/٦، أمّا ما رواه ابن عساكر ت/٥٧١هـ في تاريخه في أثناء ترجمته للمسلم بن هبة الله بن مختار أبي الفتح الكاتب، فقد قال: «ألّف رسالةً في تفضيل دمشق على غيرها من البلاد، وذكَرَ فيها بعض خواصها، وبعض ما قالت الشّعراء في وصفها، ولم يبلغ في ذلك كنه حقّها، ولم يوفّها، فقال في أثناء الرّسالة: ومن صفتها -أظنُّ أنّ هذه الأبيات له-

دمَـــنٌ كَـــأنَّ رياضَـــهَا ... يُكْـــسَيْنَ أعْـــلامَ الْمَطَـــارف
وَكَأنَّمَـــا نَوَّارَهَـــا ... يَهْتَـــزُّ بـــالرِّيْح العَوَاصِـــفَ

ثمّ قال بعد أوراق: ولقد سافرتُ عن دمشق دُفعَات فكان إنشادي»، الأبيات، تاريخ مدينة دمشق ٨٠/٥٨.

والحقُّ أنّ القول السّابق لا يشير ضرورةً إلى نسبة الأبيات إلى أبي الفتح الكاتب، إذ ربما تمثّل بها، لأنّ أبا العشائر بن حمدان قتل سنة ٣٥١هـ بحسب ابن العديم، أمّا أبو الفتح الكاتب فقد توفي سنة ٤٦٠هـ بحسب ابن عساكر.

وعلى أيّ حال يمكنني أن أستبعد نسبة الأبيات إلى ابن زريق، لأنّ الدّمياطي ت/٧٤٩هـ في المستفاد قد اشتبه عليه الأمر، فبعد أن روى الأبيات الثّلاثة، ونسبها إلى ابن زريق، قال: «قال أبو عبد الله الحميدي: قال لي أبو محمّد علي بن أحمد بن حزم، فقال: من تختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقّه للشّافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل الظّرف» المستفاد ١٩٠/١٨، وقد سلفت الإشارة أنّ قصيدة ابن زريق المقصودة في هذا القول إنّما هي عينيته الفريدة، وليس هذه الأبيات كما ظنّ الدمياطي.

(٦) في يتيمة الدّهر: «نعيمٌ ولا كأسٌ»، وفي الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات: «نعيمٌ ولا لهوٌ».

(٧) في اليتيمة، والوافي، والفوات: «سوى ذلك الماء الّذي».

(٨) في اليتيمة: «وأيُّ نعيمٍ».